AL-'ANI

FITNAT AL-AWHAD QASIM

2264
.116563
.334

2264.116563.334
al-'Ani
Fitnat al-awhad Qasim

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 073838961

فتنة الأحد قاسم الثاني

من فرض ظلمه فرضاً ، وقهر الشعب قهراً ، وأملى أوهامه وارادته كرهاً ، وجعل مدة حكمه مكراً ، لا غرابة أن يزول ظلّه ، ويطوى نشره ، ويمحى أثره

من نال من دنياه أُمنيَّـــةً أسقطتِ الأيام منها الألف

تأليف

سهيل السديخ العامي

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٦٣

al-ʿĀnī, Suhayl al-Sayyid Najm

فتنة الأوحد قاسم العاني

تأليف

سهيل السيد نجم العاني

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٦٣

2264
.116563
.334

بين ١٤ تموز و١٤ رمضان

كانت ١٤ تموز فألاً ولكن قاسماً اجهضها ، فانقلب فألها الى طيرة ، لأنه وعصابته كانوا يتناصرون على الظلم والفساد ، ولم تكن ضمائرهم مقاودة الى الخير ، واخرجوا صدورهم وصعروا خدودهم ، وكان حديث انفسهم حديث الشيطان ، وكابروا الحق ، وشايعوا المنكر وظن قاسم انه يتيمة الدهر ، وما مثله بارز الاسم والمعنى والخبر ، حتى وقع فى شرك القدر ، ولو خلّى القافلة تسير على رسلها لاسترسل اللبن فى حلقه ولم يشرق فيه ، ولم يعض على يديه لكنه اشار عليه العدل فعصاه ، وشاوره الظلم فاطاعه ، فجعل الآمن على مقلاة الغم يتقلّى ، والبرىء بجمرة الغيظ يتصلّى ، وهو يترنح سروراً ويتملّى ، وكانت أيامه السود كلها كلباً وختلا ، وغدراً وخترا ، الى ان قال له يوم ١٤ رمضان : أين جهازك المعبّا ؟ وأين أمرك الملبّى ؟ ها أنت ومجرموك الآن فما حالكم غدا ؟ يوم يتعلق برقبتك الآلاف وقد شغل بأنفسهم عنك الألاّف ، أينفعكم آنذاك يا حسرتنا ؟

تالله لو لم تكن من العقل دون جآذر[1] جاسم ، لما تقاسمتك القواسم ، ولكنك شيّعت النار التى اشعلت ، واحرقت القلوب بما اشعلت ، وقد كان الزمن انذرك بالصدمة الاولى فلم تنزجر ، بل اعتقدت ان الزمن قد أمضى لك صك الأمان ، مع دوام العظمة والسلطان .

هب أنك يا ابن قاسم استويت فلم قهرت ؟ واستوليت فلم ظلمت ؟ وامتلكت العنان فلم جرت ؟ وقبضت على ناصية الامور فلم سفعت ، وقدرت على الارواح فلم ازهقت ولم بذرت مال الشعب وبدّدت ؟ واصبحت (تثنى الأعنة كلهن باصبع) فلم اغتررت ؟ فها انك قد هلكت ، ولكن ما هى

---

(١) جآذر : بقر الوحش مفرده جؤذر ، وجاسم اسم مكان تجتمع فيه بقر الوحش .

نغية الناس إذ سمعوا بهلاكك ؟ (واهاً لها من نغية ما ابردها على الكبد) ذلك لأنك كنت صلّ اصلال لا تنفع من لدغتك الرقى ، وسريع الاراقة ولا لك افاقة ، ومن ينسى احداث الموصل وكركوك وأم الطبول ، وغيرها من حوادث شرحها يطول ومدفوعوك يدقّون فى افراحك الطبول .

كنت تتبهرج بأنك لا تملك إلا طمرك القصير ، وتموّه على المغفلين والناقد بصير ، وكنت تفتخر بأنك دخلت التاريخ ، وما تاريخ من لا دين له ليقال كلّم دينه ؟ ولا يقين له ليقال ثلم يقينه ، ولا ذمة له ليقال خفر ذمته ، ولا مجد له فيهدم ، ولا شرف فيوضع ، وعورتك مكشوفة ، ورذائلك مفضوحة ، ومظالمك معروفة ، ومهما كنت هلاّ ذكرت .

وما الدهر إلا صرف يوم وليلة فمخطفة تنمى ومقصفة تصمى

ولو وقفت يا قاسم عند حدّك لقلت لنفسك ما أنا والأخذ بالرفع ؟ وما قاسم والفخر ؟ وما لى وهذه التصاوير ونصب تلك التماثيل ، وما الحكم إلا عجالة الراكب ، ولكنك اضطبنت المجرمين فكنت وهم الطامة على البلاد ، فاذهب يا مطر ، مثقل الظهر تجرّ اثقالك ، تلك عاقبة الذى ألقى رحالته على الحمار وخلّى صهوة الفرس ، وكان كستاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا ، ولو كنت كالرجل الذى

يشاور نفس العدل حتى تطيعه ويترك نفس الظلم لا يستشيرها

لما كان ذلك الاجرام ، على أيدى اولئك اللئام ، وأهل اللا حياء ولا حرام ، ولم تتجهم للشريعة ولم تتحدّ الإسلام الذى يقول :

ربأت بنارى ان تناظر نارهم وأبغضهم بغض الحسين بنى صخر

لقد دفعت الثمن غالياً لمن عصبوك ، وبالأوحد لقبوك ، وبالزعيم نعتوك ، فتوهمت أنك أصبحت من أعاظم أهل التيجان والبخوت ، بينما أعمالك جعلتك من اوطأ التحوت ، وكنت تدّعى أنك حطمت الاستعمار والواقع أنك كنت والاعمار ناراً على نار ، أما الذى لا نصيب عنده للاستعمار هو

الفحل الذى لا يقدع ، ومن هو من علوّ النفس (لم يتطرّبه بنان مخضّب) ومن حسن السلوك ما يتنزّه عن أن يقارب الهلوك[1] ، وكنت تفتخر بالغناء الاقطاع ، فيقال لك هب انك الغيته فأين إثماره ؟ وعلى فرض أنّ حركتك ولود فلم إذ ولدت وأدت ؟ ولم إذ شويت رمدت ؟ ولم إذ وصلت استأصلت ؟

واذا كانت ثورة ١٤ تموز من النبع المثمر وغصبتها فلم أعقمتها ؟ واذا كانت فتحاً ونعمة ورحمة ، فلم احلتها الى محنة ونقمة ؟ وما اكثر ما كنت تعد ، فلم كنت من وعودك كالناقة البروق تلمع بذنبها من غير لقاح ؟

وبعد فويل لك اذا نشرت صحيفتك النكراء ، وويل لك من تلك الخطوط لتنال أحطّ الحظوظ . ولولا أن يسابق رجال ١٤ رمضان تنفيذ ما اعددته من تخطاطيط الاجرام لكان ما دفعه الله أعظم مما كان فى الموصل وكركوك ، ولكن الله أعان على جهازك

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله فيظهر ما بين الأسنّة مخرج

ولا يركب الغماء إلا ابن حرّة ولا يدفع المكروه إلا الأكارم

(وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) .

---

(١) الهلوك : الامرأة الفاجرة .

المقدمة

الاسلام الرابطة العليا ، والعرب بيت

إذا كان الاسلام الرابطة العليا ، والعرب بيتاً فلم عرّى أهلهما اسمهما عن الإسناد ؟ ولم اضعفوا علاقة التجانس والتشاكل والتطابق والتناسب ؟ وكيف هان عليهم أن يمسوا عدداً مبدداً وحروفاً مبعثرة ؟ ولم جهلوا معرفة أدلة اليقين بعللها وضوابطها ، إن من علم الميزان : اذا صدق المقدّم صدق التالى ومقدم الإسلام والعرب كان صادقاً فلم كذب التالى ؟ لا شك ان السبب هو تعطيلهم قول الرب تعالى : (إنما المؤمنون اخوة) وقوله (ولا تفرقوا) وقوله (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا) ولعدم تشاعرهم بالإسلام والعرب . مع ان الرسول « ص » قال : (من أحب العرب فبحبّى أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم) ولعدم تشاعرهم بهذا نجد شوكتهم قد ضعفت .

إن العرب بيت ، والبيت باتصال جدره بحيث تتداخل لبنات هذا الجدار بلبنات ذاك الجدار . وما وراء انعزال هذا الجدار عن ذاك إلا هدم البيت ، وليس يعزل هذا عن الآخر إلا النظر الى الذات وأنانية العروش والكراسى ، والنزعات الغريبة والتحربات المفرقة التى تسبب اعتلال فائهم وعينهم ولامهم . هذا ، وبينما نرى الأمم الناهضة تحاول أن تجمع بين الساكنين على غير حد اجتماعهما اذا بنا نفرّق بين اجتماع الساكنين بصورة مطلقة ، وبينما تجمع الدول الكبرى على الأحلاف والابرام ضد العرب والاسلام اذا بنا نجمع على ألا نجتمع نحو صالحنا العام بل على حله ونقضه إن كان . والذين يرون الحل والنقض لا شك انهم من لم تطهر ضمائرهم . وكيف يكون نقىّ الضمير من يلمس ويمس ويدلس ويجس ولم يستأنف الطهارة ولو كان حدثه الحدث

الأكبر ، إن منتقض الطهارة بالاستعمار نجس بالاضافة الى أحكام الاسلام ، وبالنظر الى إباء العرب وشممهم وشرفهم .

إن المركبات تتألف من الاسطقسات التى هى أصل التأليف ، لكن عبدة مراكزهم اليوم من العرب صاروا يرون انحلال العناصر ، ولم ينظروا الى أن التأليف هو الذى يشكل المجتمع الصالح ، وان فى المنحلّ معنى الفساد .

ويدّعون الإخلاص ، ولكنه ادعاء مجرد والفعل يكذّب هذا الإدعاء فان الاخلاص هو الخلوص من الشوب وأين واقعه ؟ الاخلاص هو ما لا يعلمه شيطان فيفسده ، ولا هوى فيميله ، الاخلاص أصله الصدق ، والصدق ما لا يكون فى أحواله شوب ولا فى جوانبه عيب ، ولا يقال له اخلاص إلا بعد الدخول فى العمل كلهم يدّعى الاخلاص ، ولكن أين أثره من فعل المقاربة فضلاً عن الاندغام ؟

إن تمثيل حقيقة الشيء وحده دون نفى أو اثبات ليس غير انه تصور ، والوقت يقدّر بالوقت ، والأداء الكامل ما يؤديه المؤدى على الوجه الذى أمر به ، ولم يؤدّه من لم يحترز عن الخطأ عمداً والخطيآت إصراراً ، ولم يؤدّ من يتبع خطوات الشيطان ولم يصن منهج اخلاصه عن الخبط والخلط ، فان المجروح المرتفق وإن ثبت له حكم من أحكام الحياة فهو مرتثّ ، وزعم زاعم ان غيره تمساح يحرك فكّه الأعلى عند المضغ بخلافه هو لأنه من يحرك فكه الأسفل ، ان المدّعى يكذبه الواقع الذى شخصهم انهم من ذوى المخلب المفترس .

إن أصحاب الوسواس يجب أن يعالجوا فى المصحات والبيمارستانات فإن لم يجد العلاج فهناك مستشفيات العزل وتخليص الأقاليم الإسلامية والعربية منهم . ومن علامات السالم من مرض الأنانية أن تراه يبذل الجهد لأن يجمع جمع سلامة فيقرّب الأسرار التى منها المضى على الخط الذى فى داخله نقطة تتساوى عندها جميع الخطوط المستقيمة الخارجة منها اليه ، وهـــذا هو

الدوران حول الحق . أما من انحرف عن الخط ونراه مرفوعاً فهو من رفعه الشيطان ، وانه ممن أملى له واستدرج ولابد من خفضه ، بل سقوطه ، وإن ظنّ ان رفعه توفيق فهو غالط . بل هو نصيب كنصيب الدكتاتور مطر فليعلم هذا المرفوع أن الأيام سبعٌ غير معلم وكل شيء يعمل حسب طبيعته ، ومهادنة الأيام ربما كانت تحرفاً لقتال ، ومدحها ذم ، وهتافها قد يكون دعاء بالويل والثبور والطيران فيها لعل آخره سقوط وحكمها لا يثبت ، وطبعها الحرمان ، فعلام إذن كان الدكتاتور مطر مخدوع أمانيه ؟

إن الموفق من أرباب الزمام من يستنبط من الأيام دروسها . فيعمل ما يصح السكوت عليه من ضم المسند المسند اليه ، ويطابق الواقع على العمل الصادق وإن استثنى عرف كيف يخرج الشيء من الشيء . أما من اخلد الى أرض الحرمان فهو ممن انسلخ من الايات واتبع الشيطان ، كشيطان أهل الدم المسفوك بغرائز التوحش ، أهل الغضب والغصب ، والذين هم ثقل على الدنيا وكيف لا يكونون ثقلاً وهم أعداء الإسلام والعرب وأعداء الأديان وأعداء أهل الايمان ؟ وهم من الاجرام ما اخرجهم عن الفطرة البشرية والإنسانية .

إن الذى ينشده المسلمون والعرب اليوم من أرباب الأزمّة أن يتجافوا عن خشن التعابير فى اذاعاتهم ويتجنبوا غليظ الألفاظ فيما بينهم استبقاء لأفعال المقاربة كـكاد وكرب ، فعسى أن تتحول هذه الصيغ الى كان ، وصار اذا ما لطف الله بالمسلمين والعرب فتشرق شمس توحيد صفهم ويتولون جميعاً الى الظل بدلاً من تولى بعضهم قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ، ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ، وليعلم العرب والمسلمون انه ليس ما يعيد لهم شوكتهم ومجدهم غير وحدة صفهم وتضامنهم وذهاب الحقد من قلوبهم ، وان لا تعدو عين بعضهم عن بعض إرادة زينة الحياة والاستئثار ، وها ان الوحدة قد تحققت على أيدى المخلصين .

أما الذى يصر على تبعيته للأجنبي المستعمر ، وحديث نفسه أن التابع يسقط بدون المتبوع ، فيتبعه ولو فى جرّه وجر البلاد بعجلته ، ونظره أن الجمل يدخل فى بيع الأم ، فمثل هذا يجب على الشعب الذى هو على وأسه ان يعثره بفضل خطام زمامه ويطرحه جانباً ليتخلص الشعب من بليته ، وإلا اذا كان هو قد رضى لنفسه أن يكون رقاً فما ذنب البلاد تسترقّ بهذا الرقيق أتكون البلاد مولى الموالى ؟

وقل لى يا مشاطرى بلواى الى متى هذا اللغز معمّى ؟ والى متى هذا التجزء ابعاضاً منفصلاً بعضها عن بعض ؟ والى متى هذا التباين الذى هو كتباين الحركة والسكون ؟ والى متى العربى

سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داعى الندا بسريع ؟

أيكفينا مجرد القول (ومن أجلهم ان النفوس ذوائب) أيكفينا القول المجرد

إن يختلف ماء الوصال فماؤهم عذبٌ تحدّر من غمام واحد

أيكفينا التمنى الأجوف واللهج بالقول :

تمنيت أن ألقى سليما وعامراً على ساعةٍ تُنسى الحليم الأمانيا

فهـــذه اسرائيل التى ضُربت عليها الذلة نجدها لا تزداد كل يوم إلا قوة فأين العرب والمسلمون منهم ؟ وما الأمل بأرباب أزمّة لما يفرغوا من شتم بعضهم بعضاً ؟

أمّلتهم ثم تأملـــتهم فلاح أن ليس فيهم فلاح

وكيف يرجى فلاح ممن تضادوا فتمانعوا تمانع العرضين فى الوجود لذاتهما كالأسود والأبيض ؟ وإلا لتجاذبوا وتقاربوا ما دامت الجنسية كالصفرة والبياض تدعو الى التجاذب والتقارب لوجود التماثل .

واذا كنا نعلم ان الأجنبي لا يدعونا إلا الى المنع والدفع ، فلم لا نمنعه وندفعه ونكون تجاهه كما قيل :

فحريق جمرة سيفنا للمعتدى ورحيق خمرة سيبه للمعتفى

واذا كنا مسلمين خلصاً وعرباً حقاً فلم لم نؤخره وعملاءه على وجوههم وننكسهم على رؤسهم ونتبرأ منهم ونسرّحهم فلا يعودون ، أما أن نرسل البازى على أن يعود فهذا ليس بتسريح ولا طلاق بل هو طلاق رجعى وبينونة وقتية ، والتوقيت ينتهى فى الوقت المقيد بـ ما دام ، ما لم ، حتى ، الى . كما يفعل ذلك من يخدعون شعوبهم .

وكم منهم من يتخذ الخطابيات من سحر بيانه فيرى الناس ان التابع لا يمكن انفكاكه عن المتبوع ، والحال ان الناس يعلمون ان الذى لا ينفك عن المتبوع هو التابع الخائن وهنا ينقسم التابعون الى قسمين : هذا يتبع الأمم الماركسية ، وهذا يتبع الغرب الذى أغربه عن أهله واغراه وغرر به .

فقل لى يا اخى القارئ هل التابعيتان إلا الطامتان على الشعوب العربية وهل هذه التابعية إلا الخيانة وهل يكون رأسٌ خائنٌ قائد زمام ؟ وأين تبعية الرق من تبعية الفرع للأصل ؟ فتبعية الرق لا تنفك عن المتبوع إلا بالعتق وتبعية الفرع للأصل تبعية السيد للسيد .

ثم ما هذا التدليس فى الإسناد ؟ وهل وراء من يلبس النحاس الذهب والعكس إلا ذهاب الريح والانحناء ؟ مع ان المسلم والعربى لا ينحنى لأن الانحناء تحية المجوس ، وهل يطأطىء الرأس لأجنبى إلا التحوت الذين لا تقوم الساعة على رؤسهم كما قال النبى « ص » : (لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت) أى الجميل الذى يقوم على رأسه الدون من الناس ، وكما فى حديث آخر (اذا ساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم) ، وهل كان افسق من الدكتاتور مطر وهل ارذل من زعيم الفساق مطر ؟ وبعد فهل الساعة فى الحديث ساعة العرب ؟ اللهم سلم .

إن من علامة من هم ليسوا من التحوت أن تراهم يترفعون أن يزاوجوا مصالح الأجنبى بمصالح شعوبهم . ويتنزهون أن ينزوا على من هنّ من عرق التحوت ، فان الفحل الكريم لا ينزى إلا على فرس كريم ، فالطيبون

للطيبات والخبيثات للخبيثين ، وإن عرق الهجين دساس .

والكرام لا تصف ألسنتهم الكذب ولا يجعلون رزقهم انهم يكذبون ، والكريم من يرى طعام الاجنبي الطامع طعام شجرة الزقوم طعام الأثيم .

والعربي لا يختلف فى العرب والمسلم لا يختلف فى الإسلام ، والطامة كل الطامة أن يتغير أرباب الزمام بالذات فضلاً عن الصفات كما نرى من بعض ذوى الأمر من الاقاليم انه أشد انكليزية من الانكليز وأشد امريكية من الامريكان وأشد فرنسية من الافرنسيس وبعضهم أشد روسية من الروس . هؤلاء الذين جف ماء نخوتهم وترادفت على أسمائهم مترادفات شعوبية اخرجتهم عن وصفهم بل اخرجهم الضلال عن آدميتهم ، وهذا ما صير العرب كنخل منقعر وخف وزنهم وطاشت كفتهم وصاروا لخفتهم يتعالون ولكن تعالى الدخان فى الخفة ، وبعد ان كانوا فى السمو حقيقة ومثلاً أعلى فى الثقل صاروا فيه مجازاً ، وفى الذل والهوان كحقيقة ، وإن انكر علىّ منكر ، فالرد عليه باسرائيل التى تمركزت وبعض أرباب الزمام لما يفرغوا من التشائم .

هذا بعد أن كان العربى له الحق بأن يفخر بتوجيهه الأمم الذين كانوا ينضوون تحت رايته وذلك بفضل الإسلام الذى جمع العرب ورفع منارهم ، كما قيل :

جعلنا لهم نهج الطريق فأصبحوا على ثبتٍ من أمرهم حين يمموا

واذا كنا نحن الذين انهجناهم الطريق فكيف صار بعض ارباب الزمام ييممون شطر الأحمر والأشقر وزرق العيون ؟ وفقدوا صفة الذات بل فقدوا الذات بحب الذات وانكروا الجماعة فعطلوا محاسن الأخلاق وفضائل الأعمال ، واخرجتهم امزجتهم عن الإعتدال بسبب الخلط والآفة اللذين أكلا الشعور بصالح الجميع .

العربى الأصيل والمسلم الصحيح ناموس ، والناموس لا يكون عميلاً

ولا وكيلاً لأجنبي ، لأن الناموس صاحب سر الخير للإسلام والعرب ، والعربي لا يكون جبتاً ولا ساحراً ولا دجالاً كالدكتاتور مطر الذى انقبر ، والعربي لا يكون حطباً ولا حصباً ولا يكون حنشاً يصاد ، ولا يكون حماراً للغريب ولا حمولة للاستعمار ، والعربي إن تحرك من الإستواء الى الإعوجاج وانحرف عن معنى العرب فقد استحال الى لا عربي ، أما ان تحرك عن عروض بخطأ الاجتهاد وانا ب ورجع عن خطئه فالعروض سريح الزوال كالحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة فيغفر له خطؤه ويرجع الى وصفه ، أما إن عمى شعوره بالإسلام وبالعرب فقد اصبح مثل هذا حالاً مؤكدة لعاملها فكان من قبيل ولى مدبراً ولم يعقب) وحركة مثل هذا خرجت عن كونها اختيارية الى كونها قسرية لأن طابعه صار يحمله على التنكب عن أصل العرب ومعناه فهون عليه حل العقد والميثاق المأخوذ على العربي المسلم بأن لا يخالف أصله على أن مخالفة الأصل خترٌ وهو أشد من الغدر .

الغرور بالبدايات :

كان ممن اغتر بالهدايات الدكتاتور مطر الذى بيَّت شره لخبثه لمن فجَّر مباشرةَ ثورة ١٤ تموز ، فوضع المزالق والإتهامات على أيدى من لا عهد لهم ولا ذمام حتى اذا ما ظن ان قدمه قد رسخت وثبت له الاستقلال الشخصى بدكتاتوريته التى قلَّ أن يكون فى التاريخ نظير لما أتى باستئثاره بالحكم من ظلم ، فظن أول الطريق هو نهايته ولم يذكر (فاتى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) وأنى لهم اذا حضرت ساعتهم ، ولم يذكر أن الناقة قد تخدج فتلقى ولدها ناقصاً وربما لا يعيش ، واغترَّ بقول عصابته دعوه يقود الإبل ، ولم يدُرْ على خاطره ان له يوماً سيقول الناس (اخزموه وقودوه بالخطام) ذلك اليوم هو يوم ١٤ رمضان ٨ شباك ١٩٦٣ ولا يلومنَّ إلا نفسه ، لأنه لم يلتفت الى المأثور من القول (من ولّى على قوم فهو ساع عليهم) بل سعى باعدام الأرواح وتبذير الأموال واباحة الأعراض ، ففرح بما اوتىَ فرحاً ولَّد

اشراً وبطراً وشراً وأحدث أحداثاً أدمت القلوب وقرّحت الاكباد، ولو كان مرزوقاً حظ العادلين المصلحين لمضى على سنن العدل والإستقامة وحفظ ما ولىَ .

لا يسوس الناس من هو ظاهر الجهل الخ راجع الى اثر :

لا يسوس الناس من هو ظاهر الجهل ، خفيف اللب ، ضعيف الرأى ، ردىء الفهم ، مستخف القدر ، سريع الذنب ، مخدوع نفسه والشيطان ، أسير الطغيان ، دائم العصيان ، لا يبالى بما كان ، لا يسوس الناس محرق عصبي ، آبى ممتلىء شراً ومكراً ، لا يسوس الناس ذو قوةٍ غضبية وعصبية سبعية ، لا يسوس الناس مختل الرأى ميال الى الفسق والفجور ، لا يسوس الناس من لم تسلم اصوله من احرف العلة ، لا يسوس الناس من يبهم الضمير حتى لا يعلم الناس ماذا يعنى حتى صار ينطبق عليه القول : (هو الرجل يقول ما شاء) هذا فى حين يقول الناس للناس :

ولا تسألوا عما حوى القلب شأنه فاظهار شأنى لا يجوز كقصتى

ولا يسوس الناس من استطاب الظلم والاجرام حتى ألفهما وصارا عنده طبعاً له فتجاوز حد الشرائع والدساتير والقوانين .

ولله فى خلقه شؤن وشأن فيمن هزّ الرشا ولم يُجد فتله ولم يحسن البرم ، ومع ذلك فمنافقوه وغوغاء الناس يهتفون له بـ يحيا ويعيش ، ويقولون غبطاً ولكن جماهير الناس يردون على منافقيه وغوغائه وعصابته بقولهم : ألموت له وألمهم هبطاً وكبوةً لأنه من خيّب الأمل وأجرم وغيّر وبدّل وجربوه.

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

ولم لا يخيب الأمل من هو

فضول بلا فضل وسنٌّ بلا سنا وطول بلا طول وعرض بلا عرض

أما انه كان يدّعى ما يدعى (فلا عجب للقاصرين قصور) .

وإذا قلتم فاعرلوا :

هكذا يقول الله لأرباب الزمام من العرب والاسلام ، وتحذرهم الحكمة التي هي روح العلة ان يكون أمرهم فرطا ونبذا وسرفا وتضييعا ، بل عليهم أن يتحلوا امهات الفضائل ، وامهات القواعد لبيت العرب ، أما لغو الإذاعات وتبادل المحقرات فعليهم أن يطرحوه ، وليعلموا ان اللئ صفة الذين يحرفون الكلم والمسلم الصحيح والعربي الصريح لا يتنزل الى ذلك وبدلاً من هذا يجب أن يصفّوا السر بينهم ، وإلا فتحوا على الناس باب اليأس وسيقولون ان الالتئام اصبح بسبب من هم حجر عثرة أشبه بالمستحيل كاستحالة شيب الغراب وولوج الجمل فى سم الخياط لأن المتشائمين ناشىء يأسهم من اعتقادهم بأن بعض أرباب الزمام هم من الغل والحقد كما يمثله الانجيل (غلّ الصدور بالنخالة ، والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير) وقد اتخذ الرؤوس طريقتهم وتهديداتهم كما قيل :

فإن تكتموا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

أوليس الأولى من ذلك أن يتحالموا فيكون الجواب : (وإن تقصدوا الذم لا نقصد) ونظر المتشائمين فى منحرفى اصحاب الزمام ان بعضهم اصبح ميله غير ارادى كالحجر يقذف به الى فوق فيميل بطبعه الى الأسفل وفقاً لقانون الجاذبية .

ويقول المتطيرون ان عدم المرافقة سببه اختلاف الكراء ، ولا يباين أصله إلا الشعوبيون والمولدون والموالى والهجناء فهؤلاء يجوز عندهم أن يقوّضوا الإسلام والعرب ، ومن المقوضين أهل المذهب الذى لا حرام فيه .

ومن سوء حظ العرب انهم صاروا أهل المحال بضم الميم وفتحها وكسرها ، فالمحال بالضم احالهم من جهة الصواب الى غيرها ، والمحال بالضم جعلهم يحاولون استعمال مقتضيات الفساد من كل وجه كاجتماع الحركة والسكون

فى شىء واحد فى حالة واحدة . أما بالكسر والفتح فهو المكر وهل يمكر بربه إلا المثلث الذى يهلك : نفسه وأخاه وبلده .

ولو كان العرب اليوم عرب الاسلاف لأدركوا ان الحكم الذى له مستند اقرب الى الصواب من الحكم الذى لا مستند له ، ومما عليه العالم إلحاق الأضعف بالأقوى والقليل بالكثير ، والفرد بالأعم الأغلب ، وللأكثر حكم الكل ، واذا اطرد الحكم لعلة اطرد حكمها فى الموضع الذى امتنع فيه وجود العلة ، مضافاً الى هذا ان النفوس تأنس بثبوت الحكم ، والدائم الغير المنقطع أولى من الآجل المنقطع ، وإذن فلم يفرّط بعض اولى الزمام بعدم رعاية هذه الاسس ؟ والآن والوحدة قد تحققت فقد صدق ظن المتفائلين واخطأ ظن المتشائمين .

عامة العرب اليوم :

حاجتهم الى رؤساء أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجارب ، فلم تغرّهم السلامة المنطوية على الهلكة ، رؤساء رحل عنهم التسويف ، ودلّ لسانهم بالوعد وانبسطت أيديهم بالوعيد لمن يحاول أن يهدم بيتهم ، رؤساء إن احسنوا المقال شفعوه بالفعال ، رؤساء الخير بهم زائد والمعروف لهم شاهد ، رؤساء عربيو اللسان مسلمو الضمير مؤمنو القلب ، رؤساء متزنو الحركات ساكنو الإشارات ، رؤساء آلو على أنفسهم إلا أن يقضوا ديناً للأمة عليهم ولا يضيعوا حقاً لها وما كان اخذ أو غصب منها ردوه اليها ، رؤساء بعيدو مسافة العقل ومراد الطرف ، رؤساء ظلمة ليلهم كضوء نهارهم ، رؤساء آمرون بارتياد ناهون عن فساد وكلٌّ لجنيب السوء غير منقاد ، رؤساء إن قالوا فعلوا وإن حكموا عدلوا ، رؤساء لهم علم لا يخالطه جهل وصدق لا يشوبه كذب ، رؤساء هم الوبل عند المحل ، يعشقون المعروف ويبغضون المنكر لا يميلون الى الهوى علماً منهم انه أصل كل فتنة ومصدر كل باطل

ومنشأ الاضاليل ، وله حالة شبيهة بالسكر تعترى صاحبه فتمنعه عن التمييز وتشينه فى دينه ومروءته كما قيل (من امتثل هواه ظناً منه انه رشد ربما كان هلاكه فيه) وكم فى طى الهوى من إذلال ، مع حربه للمروءة وكمال الرجولة ، وانه ضد للآداب النفسانية والهمم العظيمة والافعال الجميلة ، وانه مفضٍ الى اللجاج والتمادى فى العناد ، وانه ينتج الحيرة ويخرج صاحبه عن سواء السبيل ، وفق الله الامة لرؤساء يعيدون مجدها ويرفعون منارها ويعتزون بالإسلام ويعتز بهم المسلمون ؟

البلاد العربية بعد الحكم التركى
و بعد الاحتلال

العراق من البلاد العربية :

كان العراق كغيره من البلاد التى كان يحكمها الاتراك ، وبعد الاحتلال انتقل الى حكم نفسه نتيجة ثورة قام بها الاحرار ضد الاحتلال البريطانى ، وجلس على عرشه وعلى كراسى حكمه من كانوا أمل البلاد بأن دخان الاتراك ونحاس الاحتلال قد ذهب وزال لأن الذين اصبحوا الحاكمين آنذاك هم مسلمون وعرب ، ولكن الأمل انقلب بهم الى خيبة ، وأمسى الشعب كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وصبر الشعب نحو أربعين سنة وهو يتلظى الى أن انفجرت ثورة ١٤ تموز فتفاءل الناس بأن الخير قد تفجرت عيونه ، واذا بفال البلاد ايضاً انقلب الى شؤم ، فكان قاسم من مخبآت صناديق القدر ورمز سوء حظ البلاد التى لا تكاد تفلت من ساق شر حتى يمسك بها ما هو أشر ، وصبر الناس على البلاء الذى كأنه وكّل بهم الى أن قيض الله أحرار ١٤ رمضان ٨ شباط فكان يوم نورٍ أعقب ظلمةً بل ظلمات .

ابتلاء البلاد العربية ببعض حكام أقاليمها :

من سوء حظ البلاد العربيه ابتلاؤها بالاستعمار وببعض الحكام الذين تقوى نار الاستعمار بنارهم ، فمع علم حاكم أى اقليم عربى ان بعده عن حاكم اقليم عربى مما يقوى الاستعمار تجده يبتعد ولا يكترث بأن هذا البعد جفاء ، وانه يضر بالامة جميعها لأن أقاليمها متداخلة متشابكة ، والخسارة لا تخص اقليما دون آخر فعلى الرغم من ذلك فالذى يحلو لبعض الحكام البينونة والعزلة ،

بل والمقاطعة ، اللهم إلا ما كان يقرّب بينهم الاستعمار لصالحه وهذا ما دعا الى ضعف مركز الامة العربية وإطماع أضعف جنسية بها . إن الاقاليم العربية لولا بعض حكامها اخوة كاخوة النسب بجامع طبيعة وعادات وجغرافية وتشابه كل اقليم للآخر ، واذا ارتضى الحكام لأنفسهم خسران ضمائرهم فما ذنب مصلحة الامة العربية تكون ضحية انحرافهم ؟

نفاق سياسة بعض حكام الاقاليم العربية :

إن سياسة بعضهم فاقت سياسة عصور حب الذات زراية ، فسياستهم لا تستحي ولا ترحم ، ولا تراعي في الاخوة عهداً ولا مروّة ، ولا تحسب للرجعة حسابا ، وتشطب على القول [إياك وما يعتذر منه] وبما أن سياستهم لا مقياس لها ولا ميزان فيجوز في مذهبها أن نجعل الليل نهاراً والابيض أسود ، وتجوز انكار البديهيات وجحد الضروريات ، وتتعامى حتى عن المشاهدات ، فتقول لمن رأسه يناطح السحاب ما عليك رأس ، ولأعمى في العراق إنه ليبصر البعوضة في نيويورك ، ولا نخجل من تجويز المستحيل كأن يشغل حيزاً واحداً جوهران في آن واحد ، وتجوّز المغالطة لحد قولها عن قرص الشمس إنه رغيف خبز ، وعن القمر في دور التربيع انه قطعة جبن ، وسياستهم فاقت سياسة معاوية في مجال تمييز الحق من الباطل ، فحينما قيل له : قد ثبت بغيك على عليّ بقتل جيشك عمار بن ياسر ، على أن الرسول قال : (يا عمار ستقتلك الفئة الباغية) فقال معاوية : ان الذي قتله من ساقه الينا ، فلما بلغ دفاع معاوية علياً قال : ونحن قتلنا حمزة ؟ فأنت ترى ان حجة عليّ دامغة لتحجج معاوية ، لأن حمزة كان في جيش الرسول أفيكون الرسول هو الذي قتل عمه حمزة ؟ ولكن ما هي النتيجة ؟ إنها سياسة حب الذات والتبسط ولو بجعل الباطل حقاً . وسياسة حكام بعض الأقاليم العربية اليوم لا تبالي أتفككت روابط الامة أو انفصمت العرى أو انشقت العصا

أو انكسرت البيضة أو اظلمت الدنيا على الشعوب العربية ما داموا هم بصدد الاقليميات ولو صدقوا النيـــة لصفّوا السر بينهم ، ولم يفرطوا بالاعتداد بذواتهم بالقدر الذى أنساهم امتهم ، والآن والوحدة قد تمت فى ثلاثة أقاليم وهى أول الغيث والحمد لله .

الجهاز الحكومى لبلد عربى اليوم اثنان :

أحدهما ما يعدّه نصحه وكفاءته من الرجالات ، بل من أوليات الرجال وهذا من هوجنة شعبة وأمل الامل العربية ، وثانيهما من بوأه الزمن الخؤون والظرف المجنون مكانة الحاكمية ، وهذا من هو نار شعبه الموقدة التى تطلع على الأفئدة ومجرد ادعاء مثل هذا انه كفى البلاد الخطار ، وخلصها من الاستعمار وحقق لها أمانيها يكذبه الواقع ، بل هو على البلاد العربية أشد اعتلاجاً وأحر من ناره التى كم اطلقها على الآمنين ومن لا ذنب لهم ، كما فعل الدكتاتور مطر .

وتهيّب الشعب جانبه ، واخضاعه الرقاب ، وطأطأة الرؤوس له ليس دهاء وليس معناه انه أحرز نصراً وأحمى انفاً ، ولا أنه الممنوع والشعب المخذول ، وانه القاهر والشعب المقهور ، ولا تصح غلبته ميزاناً لنجاح سياسته ، وإنما الميزان حب الشعب له مقابل تقديمـــه إياه علمياً وصحيا واقتصاديا واجتماعيا وخلقيا ، وكان أمر مطر العكس .

إن الشعب كان يتمنى أن لو نجا منه رأساً برأس لا له ولا عليـــه ، لأنه أفسد خلقه وفرق جمعه ، وشق صفه ، وصرفه عن موجب النخوة ، وبذر ماله ، وقدّم أهل الفساد وأخر من يؤمل فيهم الصلاح ، وأشار بمن أراد نفيه أو سجنه ، أو تعذيبه ، أو اغتياله ، وأعدم من خسرته البلاد ، واستخف وزن الرجال ، وساق البلاد الى الوبال وسوء الحال ، وألقى الشعب على الرضف حتى ذهب ماء متنه ، وخنق حريته ، وأطلقها للمخربين أعداء العرب

والدين . وأحال امكانيات البلاد الى تبدد وافتقار غير مبالٍ بأن هذا صابرٌ على الجوع والظمأ ، وهذا يتجرع كأس المرار .

ولو كان من ذوى الأهلية للرعاية ومن طبعه النجدة والحماية ، ولو كان الواقع يطابق ما كان يقول ويدّعى لوجدناه قد أتم للبلاد أداتها ولرأينا الشعب قد استجمع قواه . ولتكاملت على يده آدابه .

إن ما يدعيه هذا كان كذباً وهو أولى به حقاً وصدقا من اشتد مغرزه ، وثبتت أواخيه ، وجاد نحته ، وزكى ضميره ، وطهر دمه ، ونظف عنصره ، وصفا جوهره ، وسلم قلبه . واستقام طبعه ، ورجح عقله . فرجل هو بحيث هذا الوصف هو موضع الأمل لأن ينحّى الصخرة عن صدر البلاد ويفكّ طوقها ، ويطورها الى ما تنشد ، وينفق أموالها على ما ينعشها وعلى نوائبها ، وعلى ما يقدمها اقتصاديا وثقافيا وصحيا وآدابا واجتماعا . إن من هو بهذه الصفات هو من لا تلهيه تجارة بالمنصب ولا نفوذ ولا حبٌ عظمة ، ولا جمع حطام ولا قصور ، وإنما الذى يهمه قبل كل شيء أن يتبدل فقر البلاد بغنى ، وعسرها بيسر ، وضيقها بسعة ، وشقاؤها بسعادة ، وجهلها بعلم ، ومرضها بصحة ، وضعفها بقوة ومنعة ، ويخلص البلاد من محنها ، ويبدل ظلامها بنور ويشعه فيها ، ويحل الطمأنينة والاستقرار فى ربوعها ، ولعفته ونزاهته لم يدع مجالاً لذى قرابة أو صداقة لأن يستغل نفوذه ، ومن هو بحيث تلك النعوت من أكبر همه إرساء قواعد استقلال بلاده السياسى والاقتصادى والمالى على ثابت ويكون هو الحارس لبلاده المحسن لعلاقاته ، المحقق لغايات شعبه الموفر لأمواله ، وهو الذى يحرص كل الحرص على تنظيم ملاك الدولة تنظيما يقطع عن الطمع ولا محسوبية ولا منسوبية ، ويقضى على العوز والفاقة عملاً بما تقتضيه الذمة ، وتضييقاً لمجال أهل الدعوة الخبيثة الذين جعلوا من سحر بثّ دعوتهم الرثاء لحال الفقير والعامل والفلاح ، وجعلوا ذلك قنطرة يعبرون عليها ، والحال إنهم من (لا تزال تطلع على خائنة منهم) دون استثناء .

إن الرئيس الصالح من جهده جمع شتات البلاد ، وهو من يحميها من التخلع ومن بكفاءته يعالج عوائص الامور ، ويجابه صعابها بالروّية ، وعلى مثل هكذا رئيس مدار الأمر ، وبه يستنصر ، وباسمه تحل العقد وبكياسته يفلّ الحد وبضبطه يهزم السوء ، وبسهره على تأمين صالح البلاد يتحقق المرجوّ والمأمول . ومثل رئيس كهذا لا شك انه من تنقاد اليه النفوس ، وتستصحبه القلوب ، ويكون هو فى سويداء الأفئدة وصميمها ، كيف لا ويوم الشعب يصبح بفضله خيراً من أمسه ، وغده خيراً من يومه . إن رئيساً بحيث وصفنا هو من يقدّر بطول الزمن ، وكثرة الأحداث وكيف هو منها ؟ ويقدّر بأخذه من كل حادثة قسطاً من العبرة ، ونصيباً من التجربة وحظاً من الخبرة ليكون للبلاد اذا ما حزبها أمر أو اعضل بها ملمّ وليكون المفزع فى المعضلات والمرشد فى الحادثات وهو لقمع كل فتنة ودفع أية ملمة .

وكم النسبة فى البعد بين رئيس كهذا الرئيس وبين من هو من أشباه الناس والذى لا يهمه غير مركزه وبقاء سلطانه ، وليأت الطوفان ، فمثل رئيس من أشباه الناس كهذا ويخادع شعبه ويخاتله ويغفله ، ويتصرف فى البلاد وفى أرواح الشعب وأمواله تصرّف الذى يرى البلاد ملكا صرفا له ، ولا يأبه بأن مواهب طبيعة أرض البلاد هى ملك لأهلها وثمرة كدّهم وكسب جولانهم ، ولا يعبأ بأكل الفقر والعوز قلوبهم ، إن هذا لا شك هو من أشباه الناس ، وتظلم لفظة الرآسة أن يكون له حظ منها .

وكيف يكون رئيساً من يطلق على أحرار وشباب شعبه النار ، ويؤلب هذا الفريق على ذاك الفريق ؟ وكيف يكون رئيساً من يتبرّأ من الشيطان وهو يعبده ، ويحذّر من الاستعمار وهو عميله وخادمه ، وينفذ السياسة التى تطيب له ، ويشايع الحق بلسانة وهو خصمه فى أفعاله ، ويتبرّأ من نزعة وهو مقيمها ومقوّمها والمشجع والمنشط لها ، ويقول بالإسلام ويتحدى نصوص الشريعة ، ويقول بالعرب وهو عدوّهم ، وكيف يكون رئيساً من جعل الشعب

مقهوراً لا حراك به وذليلا لا دفع عنده ومغيّظاً لا يمكنه رد عادية ومستخفياً لا يمكنه اللقاء ؟

إن هذا الذى كان يقال له رئيس الرّافه فى برج عاجه ودونه الحرس الشديد والنار والحديد ، كم ضيع على الشعب فرص الامكان وسوانح الزمان وجعل البلاد تحكّ قفاها وتطأطأ رأسها وتغمض عينها خوفا ورعبا وجعلها تعال ولا تعول وتمان ولا تمون على الرغم من مياهها المتدفقة وتربتها الكريمة ومعادنها المتوفرة وعيونها المتفجرة وهوائها الملايم . إن هذا المترئس الذى طبق على شعبه سياسة (فرّق تسد) ونزّع الناس الى أنزاع وجعلها تتناحر ، إن هذا المترئس بغلط الايام اذا ما بغضه الشعب وتربص الفرصة للتخلص من طامته فالشعب المغدور به معذور ومعذور اذا ما أوقع احراره الواقعة عليه وعلى زمرته وأنصاره .

لقد فات المغرور أن يدرك أنه متى كان الى قلوب الشعب أقرب كانت النفوس اليه أسكن ، ومتى تكون النفوس اليه ساكنة وهو اذا طولب بتعديل ميزان سياسته خاصم وفجر واكفهرّ وزمجر ؟ ودوماً يدّعى انه من قدّمته أفعاله وبرّزته منجزاته ، وهل أفعاله إلا الإزهاق والإرهاق وهدر الارواح وتبديد الاموال ؟ وهل منجزاته إلا تعليق تصاويره ونصب تماثيله ؟ وهل سياسته إلا الجر بالحبال وتقطيع الاوصال وهتك ستر المحصنات وقتل الشيوخ والعجزة والاطفال وخوض الناس فى بحرٍ من الدم ، والقاء الخوف فى قلوبهم وفتحه باب كل فتنة ، وبعثه الدعوة الخبيثة المبنيّة على اراقة الدم المسفوح بغرائز التوحش من قبل دعاته وأعوانه ومقربيه الذين كان يمدّهم بالمال والسلاح ، واطلاق أيديهم الى ما عملوا من أعمال تتفطر لها القلوب وتتصدع منها الجبال وتخرّ هدّاً ؟

ولو كان لهذا المترئس روحٌ طيبة ونفسٌ زكية وضميرٌ شريف للطّف الجو بدلاً من أن يعكره ، ولسهر على رد الامور الى نصابها بدلاً من هتك

حرمة البلاد وتقطيعه أطنابها ، ولما أملى بالقهر عليها ما ينافرها وما لا يلايمها ، ولما كان وحده هو المهندس والمشرّع والمنفذ ولو كان فى ذلك الفساد ، وما الوزراء عنده إلا حملة الصخور لبناء وتحصين برج سياسته الدكتاتورية .

لقد كان من أسلحته على المواطنين تقويته الفوضويين ورعايته جانبهم فى حين انه يحذرهم من أن يكثروا فى ملاك الدولة أو يؤزّر الكثير منهم ، هذا وهو منهم بين الأمل والرجاء من جهة ، والخوف والحذر من جهة أخرى فغلطته فى تكثيرهم وبثهم ونشرهم جريمة لا تغفر وذنبٌ لا ينمحى ، ولو أدرك أنهم متى كانوا على غير مبدئهم اطغى وأفسد فبالأحرى كانوا على مطلق أيديهم أنقض . وقد عرف شيئا يخدم مركزه وغابت عنه أشياء مما يدلنا على أنه لا يصح حتى أن يكون دكتاتوراً بين الدكتاتوريين الذين يعرفون من أين تؤكل الكتف ، فهؤلاء المجرمون كم ماجوا على رؤساء وناهضوهم وشقّوا عصا الطاعة لهم فالتجّ على الرؤساء الخلاف فلم يستطيعوا الرد لما مضى وجلسوا خليّ الذرع ، وهكذا المثل (لا تطعم العبد الكراع فيطمع فى الذراع) ويطمع أن يزلزل أهل الحكم ويجلس على كراسيهم .

لكن المترئس الذى نحن بصدده والذى كله أخطاء واجرام تركز فى ذهنه ان الشعب عدوٌّ له إلا هؤلاء السلاح الاحتياطى للرئيس فلا تمركز له بدونهم ولا مجال لهم بدونه وهكذا كان ظن الفريقين الى أن ظهر غلطهم فى الحساب بما أصار المترئس وزمرته الى التباب وكان ذلك هو الجواب وان ربك لشديد العقاب .

كانت سياسة الرئيس بلسانه (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا) وكان ما يجرى على لسانه ما يجرى على لسان المريض من هجر الكلام أو كما يحدّث النائم المستغرق فى نومه ، أو كالسكران الذى غوّل عقله المسكر ، ولكنه فى الأفعال كان بارعاً فى الإجرام والإبادة والتخطيطات والتصاميم

التى تأتى على الأرواح بما لا يشبهها إلا حوادث التتار ، وظن ان فى ذلك الحيطة وحفظ مركزه وثبوت قدمه ، ولكنه نفخ فى غير فحم ، وقدح فى غير مقدح فروح شعبٍ واعٍ يضمُّ أبطالاً وأحراراً لا يخنق ، ولو كان هذا الذى حاول أن يكون فى عداد هتلر وموسولينى وروبسبير ونابليون لو كان تجاوب مع شعبه وكسب حبهم لما كان مآله مآل رجال الحكم الملكى يوم ١٤ تموز . وإذن فمترئس يخادع شعبه هو المخدوع ، واتعابه الشعب سينقلب عليه تعباً ، وإظلامه سيكون عليه حجباً ، وسيذوق فتنته ، وكل ذلك قد كان بمونة الله على أيدى الأحرار .

لقى الرسول أبا جهل فقال له : (إن الله أمرنى أن أقول لك : أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) فنزع يده من يده وقال له : بأى شىء تهددنى ؟ ما تستطيع أنت أن تفعل بى شيئا إنى لمن أعزّ هذا الوادى وأكرمه ، لقد علمت أنى أمنع أهل بطحاء على قومه ، لكن هـــذا المغرور قتل يوم بدر وطرح فى القليب فأذله الله وعيّره بقوله تعالى : (ذق إنك أنت العزيز الكريم) وكأن المعنى فأين ما كنت تقول وتدعى من العزة والكرامة والمنعة) ؟ وهكذا تكون عاقبة من ركب رأسه ككريم العراق واتبع هواه واغتر وبغى وطغى ، وذهب السمّهى مختالاً . وهكذا الدنيا مع شجرة خبيثة لا تتجاوز جذورها سطح أرضها فلا ثبات لها ولا دوام ، والباطل لا يثبت والظلم لا يدوم وثمره مرٌّ كريه . وان الذى يرى انه إنما ترأس بساعده الأشد ورأيه الأسد مغرور جاهل ، أما العاقل فيرى ان الرآسة لا تليق إلا بذى كمال نفسى وملكةٍ روحية وصفاء جوهر ضمير ، وان الذى يرفـــع الإنسان هو حسن عمله ، والذى يضعه سوء عمله ، وان الإعجاب بالسلطة والغرور بالقدرة والاسترسال بما يلوّث ، وفتح الأبواب للفتن والإجرام ودوس حقوق الشعب تحت الرجل واقـــلاق النفوس بالخوف والإرهاب واسهار العيون بإحداث البلبلة والاضطراب ، مع ما يحدث ذلك من حجب

العقول عن الرقى العقلى فلا يؤمن من أن تكون نتيجة ذلك التغييب فى بطن الارض جزاء وفاقا وان مدّ الزمان مداً .

إن الزمرة التى تمتعت بالبهرج والزبرج سنيهات لو حسبت ان ذلك طعم الفخ التى سيطوقون به ، وان الزخارف والزينة والشهوات للعقول النيرة هى أشبه ما تكون بالقاذورات للأجسام ، والأجسام القذرة من طبيعتها أن يحوم حولها الذباب فيلقى بيوضه لتفرخ فى القروح وفى العيون العمص والرمص ويخرج منها ذباب يعيش من تلك القاذورات وتؤدى الى الضرر بالمجتمع . ولو كانت هذه الزمرة التى عاقبتها أفعالها تملك ضمائر شريفة لسارت على سنن الإنسانية ولم تكن عاقبتها ما استبعدته أن يكون فكان .

إن النفوس الضعيفة كنفس المترئس الغاصب المغرور إنما تعيش فيها النفوس المماثلة لها ، كالخنافس تألف الحيات والعقارب ، وكالجيفة تقوّى الرائحة الكريهة بالجيف ، وكالنار تقوى شدة بالنار ، وهؤلاء كانوا هم شياطين الإنس الذين يبذرون بذوز الفساد ويزرعونها ، ثم يحصدونها خزياً وعاراً وهم الذين يزينون السوء لرئيسهم الأهوج الذى أفق مخيلته لضيقه لا يتعدى النظر بين قدميه فزمرته منه كما قال القرآن المبين (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) ولا شك أنهم لما وقع عليهم القول بما ظلموا اصبحوا وكلٌ لكلٍ عدوٌ (الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين) وأين هؤلاء الذين دأباً كانوا يرعفون ويقون ويحدثون الأحداث ولا يتطهرون أنى لهؤلاء أن يكون لهم حظ من الذين استثنهم الآية من الأخلاء ؟

أين هؤلاء النزاعون للشوى من المتقين ؟ فالمتقون ليس هم الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويعادون الفضيلة ، ويعانقون الرذيلة ، ولا يدينون إلا بمبدأ ماركس ولنين وانجلز وستالين ، ويستنكرون الفطر السليمة ، ويكذبون ويخونون ، ويخلفون الوعود ولا يلتزمون بعهود ويبايعون الآباء

والجدود ويتعدون فى الشرائع والإنسانية الحدود وجلّ متعهم الانطلاق بالشهوات وبمحرم اللذات ، ولا يأبهون بشيوع الفاحشة بل هم حرب لمن يقول بتحريمها ، ليس لهم مقصد شريف ولا ثوب نظيف ، لسانهم يرثى للفلاح والعامل والمسكين وابن السبيل ، وفعلهم يخالف ما يقولون ويدّعون وما اليه يدّعون ، يلهجون بالسلم والسلام ويرمزون اليهما بالحمام وهم الحمام ، والخلاصة انهم سرطان الامة والداء العضال للشعب ، وقد عُرفوا فى لحن القول وفى المكائد والمآكر وبما يبيّتون ، وفى تكتلهم وشدة قسوتهم التى لا استعداد لها أن تلين ، ولذلك فطالما تهيّب الشعب ظلمهم بسبب اطلاق صنعهم الأكبر أيديهم فكان يشجع قسوتهم وظلمهم ، لأن كلاً يتولى من يشاكله ويناسبه ، وإلا لما كان من حدث فظيع مدة تولى الغاصب المنصب الغير اللائق به ولهذا لم يكن من تناسب بين الشعب وقاسمه وزمرته ولا تجاذب ولا تجاوب ولا انسجام لأن هـــذا الوجود لا تلاؤم بين اجزائه إلا بصفات متناسبة ، والكرة الأرضية متجاذبة الأطراف والأجزاء ، وكرة الهواء مطيعة لمجموعها لما بينها من تناسب وتشابه فى الصفات ، وهكذا أخلاق الناس وأخلاق الشعوب وصفاتهم اذا تشابهت اتفقوا وتعاونوا ولا يجتمعون إلا حيث يتفقون ، وخذ مثلاً الوحدة الثلاثية الاتحادية .

أما إن اختلفوا فى الرأى فلا يضير ما دام هناك حسن قصد المختلفـــين وما داموا بصدد ظهور وجه الصواب فقـــد قيل : (إن الاختلاف سبب للإئتلاف) إنما الذى يضرّ هو التفرق فى السبل المفرقة وإحداث النحل والشيع والمذاهب والأحزاب التى يستغلها أشخاصٌ أو فئآت من الناس ، كاستغلال كبير الحكم الذى طمره أحرار ١٤ رمضان ٨ شباط ١٩٦٣ لإجرامه ومعاداته الشعب والعرب والإسلام .

هذا الجهاز الظالم الذى فرض نفسه على الشعب فرضاً وجرّعه أنواع ظلمه وأذاقه ألوان عذابه وأحدث فيه الأحداث التى تتفطر لها الصمّ الصلاب .

وهنا تظهر ثمرة المقارنة بين هذا الظالم الذى هو من أشباه الناس وبين غيره من رجالات العرب ، بين من عمر البلاد بالدماء والدمار ، وبدّل ضوء نهارها فى موسم البهار بظلمة الليل فى قعر البحار ، وحمّل شعبه الأوقار وأوقع عليه حكم الأقضية والأقدار ، وبين رجلٍ رفع قامة شعبه حتى أخذ مكانته من الطمأنينة والاستقرار ، أجل لا يستوى من ينقض البناء ويدثره ، ومن يعتصم بحبل الشعب ويبرمه ، لا يستوى من يكسر السد ويُغرق الزرع ويهلك الحرث والنسل ، ومن يقيم السد ويعمر الأرض ، لا يستوى من يجعل البلاد صعيداً زلقاً وماءها غوراً ومن يُنزل سماء قطره بأرضه فتنبت من كل زوج بهيج ، أين النسبة بين من يريد لشعبه وللأمة الحياة ومن عرّضها للممات ، أين النسبة بين من يذيق الشعب لباس الجوع والخوف ويجعله نكالاً وينشر نحاسه ودخانه فى فضاء البلاد ويقلب جناتها ونهرها الى نار موقدة تطلع على الأفئدة ، وتأكل أخضرها بيابسها أين هذا ممن يبدل بؤسها بسعد وتأخرها بتقدم ويُنمى زرعها ويدرّ ضرعها ويصنّعها ويمنّعها ، كم المسافة بين من يوثق البلاد بقيود الأجانب ويوقع بالشعب النزلة تلو النزلة وينفش فى أحرار الناس والامنين ، ويأخذ الساكت بالناطق والساكن بالمتحرك والنائم بالمستيقظ ، والقاعد بالقائم ، كم المسافة والبعد بين هذا وبين من يؤمن الاستقرار ويوطد الطمأنينة ويجعل البلاد يأتيها رزقها رغداً وماءها معيناً ويحلّ وثاقها ويجعل يدها آلة لقدرتها على التزريع والتصنيع ؟

أجل ان من يخنق حرية الشعب ويعتدى له جهنم ، ويسفع بالناصية ، ويقيس الامور بغير مقياسها ، ويتباعد عن قلوب شعبه ويتنكر له ويحدث بينه وبينهم الفجوة ويوسع الفرجة ، ويأخذ الآمنين بالظنة والتهمة ويبغتهم بما يروعهم ويبهتهم من حيث لا يحتسبون غير عابئ بنتائج ظلمه ، لا غرابة أن يؤخذ بغتة ويبهت من حيث لا يحتسب .

وماذا يؤمل ويتوقع ممن وضع اللحم للبزاة والهدامين والخونة المارقين ،

وأسرف فى هدر الأرواح وبذر مال الشعب فيما لا طائل تحته وحرم شعبه من رغيفه وبدد كسب جولانه وكد يمينه وعرق جبينه ، وجعل بينه وبينهم بينونة عزلة ، وما بينه وبينهم ما بين جبال الأفاعى والآكام المسبعة التى هى منفذ للسيل فى الوادى السحيق ، وقلب العدل على رأسه ودايع البناء من اساسه وطلى الطين بالدهان خديعة ومكراً ؟

ومع هذا يصف هو وعصاباته المخلص بالعور بينما هم العميان المحجوبون عن النظر ، يفعلون كل ذلك وراء دنياهم وغرّهم حلم الزمن عليهم ، والحال ان الأمر كما قال علىٌ «ع» : (من وسع دنياه ولم يعلم أنه مكرٌ فهو مخدوع عقله) .

إن المترئس هذا وزمرته ومن سبقهم من أهل حكمٍ غير شعبى لايقصدون بسياستهم هذه النابية عن صالح الأمة إلا التباعد بين أجزائها غير آبهين بأن هذه السياسة أول ما تنتج هو تمكين الأجنبى الذى من صلب سياسته أن لا تترا آى نارا إقليمين عربيين فضلاً عن اتحادهما فضلاً عن وحدة الأقاليم العربية . واذا كان الأجنبى يحمله على هذا طمعه الاستعمارى فما عذر حاكم عربى فى سعيه وتهالكه على بقاء الشعوب العربية منتثرة كنظامٍ قطع سلكه فتناثرت خرزه ؟ ما عذره لولا الخيانة ؟

وإلا أيجهل هذا الحاكم ان الأخوة اخوة سواء فى النسب ، أو المشابهة ، أو المشاركة فى الرابطة ، وتستعار لكل مشارك فى القبيلة ، أو فى الدين ، أو فى معاملة ، أو فى المودة ، أو فى العادات ، أو فى اللغة ، أو فى التاريخ ؟

وهنا تندفع الأنّات والآهات فتخرج مشفوعة بالزفرات والحسرات متسائلة ما هذه الريح التى خالطت الأعضاء ؟ ما هذا الاختلاف مع أن الاختلاف فى الاصول ضلال وفى الحروب والآراء فى غير مورد الاجتهاد حرام .

وهل عدم شعور الأخ بشعور أخيه إلا الاختيان الذى هو بمفهومه أشد

من الخيانة ؟ وإلا متى كانت الفرقة والبعد بين اقليم واقليم هو من صالح الإقليمين العربيين والمستعمر جهده أن يحس البلاد من طريق التفرقة بكل معانى الحس ولم يرهم آية إلا وهى أكبر من اختها ، ولم يفلت من ساق حتى يمسك بساق ويسلك يده فى جيب البلاد ويخرجها من غير سوء ولا حس للحكام الذين هم عملاؤه ؟ وليت الحاكم وكيل الأجنبى وقف عند حده بل يحدّ نظره الحاكم مخلص وينظره شزراً ومهما استطاع جرّعه مراً وأحفاه وإن مكنته الفرصة أخفاه . وهذا هو السبب الذى اسقط على العرب الوقت وأخرهم عن الركب ، وأغطّهم فى النوم ولا تقريع لأنفسهم ولا لوم فأصبح العرب من عدم الاهتمام كأنهم حجرٌ لا يوجعه الضرب وطاب لهم الخضوع للغرب وأخيراً عصفت بهم ريح كتلة الشرق ، فضرب الفريقان على آذانهم وأماتا كبرياءهم ، واتخذ العرب جدهما هزلاً ، وعقم التناصح بينهم وفقدوا فى أنفسهم القوة الاختيارية حتى انقضّ الجدار واشغل الحكام الذين هم أعداء شعوبهم النظر فى الاقليميات وفى دنياهم ، ولم يبالوا بأن ذلك مما يمكّن الأجنبى ويُرسى سفينته على جودّهم ويرهق البلاد صعوداً ويغشاها عقبة ويوفر لنفسه من البلاد أزكى طعاما ويجعل له من مواهب طبيعة البلاد وخيراتها واصوافها واوبارها واشعارها ومعادنها أثاثاً له ومتاعا . ونحن لم نعبأ بفنه وطريقته وجمعه واسلوب سياسته الذى سلب به البلاد عزّها وامكانياتها ، هذا ولا سبب أكثر من الحكام الذين لايرون إلا يومهم الذى هم فيه .

إن الحكام الذين لا يقيمون لشعوبهم وزناً دأباً يقصرون عنايتهم على ثبوت حكمهم ويفوّتون على الشعب العمل بالحكمة التى ثبوتها هو روح العلة ويعملون بحكم الاستصحاب وهو بقاء حكمٍ يبقى متعلقاً بحكم الأجنبى ولا يعملون بحكم الاستحسان الذى فيه الانعتاق من رق الأجنبى ورقّهم ولعل حديث أنفسهم ان المعانى أربعة : نية مخصوصة للفاعل ، وتصورٌ للفعل

ومادة قابلة للتأثير ، وآلة إن كان الفعل آلياً ، ولما لم تتوفر هذه العناصر فيرون أنفسهم فى حلٍ من مجاراة الظرف حتى تتوفر القدرة .

اقول لو كانوا من تعليلهم على حسن نية لهان الأمر ولعذروا على أن فى الخواطىء سهماً صائبا ، ولكنهم ممن أضلهم الله على علم ويلتمسون لسد خيانتهم معاذير ، والمعاذير مكاذب ، ويقال لهؤلاء ألا لا عذر لكم ، فالجمل يطيق السفر ، والجواد صبور على مماطلة الحضر ووحدة الشعور والشعوب العربية قوة لا تكسر ، وقوة الشعرة مع طاقات الحبل اقوى منها منفردة ، وقوة الحجارة متراصة فى البناء أقوى منها منفردة عنه ، وإنما مرض الأمة بعض حكامها الذين لا صدق لهم ولا اخلاص والذين هم متشابهون بالنظر الى أنفسهم ودنياهم دون شعوبهم ويتناسبون مع الاجنبى ويبتعدون عن التناسب مع شعوبهم بالأهداف والأغراض ، والنظير لا يتشابه إلا مع نظيره ولا تلد النوق إلا حوراناً ولا المرأة إلا انسانا ولا يجنى من الشوك عنب ، ومن يحاول أن يشتق العربى من أجنبى كان كمن يحاول أن يستولد الطير من الحوت ويجتنى التفاح من مادة الجوت .

إن أشباه الناس من الحكام هم السبب فى جعل ظروف العرب ظروف محنة وكمن غصّ بالماء ، ووضع العرب منهم غنىٌّ عن الإشارة وعن الدلالة فلولا الحكام الذين صدفتهم الأنانية عن مراعاة الصالح العام للأمة العربية لما كان من كيان الذين اشربوا العجل اولئك الذين كانوا بعاثا فاستنسروا ، وبنات آوى فتنمروا ، ونعاجاً فتذأبوا .

وبعد يا عرب أما آن لكم أن تبلغوا أشدكم ؟ أشحةً من بعضكم على بعض أن يؤدى العربىُّ للعربى ما عليه من فرض ، وأنتم تعلمون ان فرعون علا فى الارض كعلمكم ان الأمر بين الاجانب ضدكم قرض . فكيف يطيب يا عرب لكم المنام ويهنأ لكم طعام ويقر لكم مقام وفلسطين نهبٌ بيد اللئام ؟ فمتى تأخذون مصافكم ؟ أيحقق أمانيكم مجرد التمنّى ؟

أيها المتخلفون إنكم لتعلمون ان الأصل فى بيان النسب والتعلقات الافعال ، وان الاصل فى الفاعل أن يلى الفعل لشدة احتياج الفعل اليه ، وأن الاصل للعمل الفعل فأين أثر ذلك ؟ كانت ظروف العرب متصرفة فكيف جمدت ؟ وكان الاصل فى بنائنا السكون ، وفى إعرابنا الحركات التى فيها البركات فكيف أهملتم البناء حتى مال الى الانهدام ؟ أم كيف اعربت معدة اتحاد كلمتكم ووحدة مجتمعكم وتغيرت لغير صالح امتكم ؟ أولستم أحفاد اولئك الاجداد الذين لا يعرفون إلا الصعود أولستم الخلف لخير سلف ، السلف الذين لا يحملون الصخور فكيف صرتم الى الانحدار بل كيف ملتم الى الهبوط والانهيار ؟ متى تصحون من سكرتكم ، ومتى تصحى سماؤكم ، ومتى ينفلق صبحكم ، ومتى تبزغ شمس وحدتكم ؟ الوحدة التى لا يشذ عنها اقليم عربى ؟ ما اصبرك يا عربى على الطرق عليك ؟ متى تعود مطرقة ؟ متى يخضرُّ فيك عود النخوة ؟ أما آن لك أن تنفض عن رأسك غبار الهوان ؟ أنسيت أنك ابن الذين ملكوا الارض ونشروا فيها العدل والإحسان والعلم والعرفان ألست ابن الأجداد ذوى العماد والأوتاد ألست حفيد الذين نشروا لواء الحمد على سوارى المجد ، متى ينجاب الكسوف عن شمس عزنا ويرتفع الغين عن عقولنا ؟ الى متى :

إنارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا ؟

الى متى نُضرب لننقاد ، ولم نضرب عن موالاة الظالمين أعداء البلاد ؟ مع العلم ان الإضراب ابطال الحكم الاول والرجوع عنه ما دام الحكم المعدول عنه هو حجر العثرة فى الطريق كمثل الحكم الملكى والقاسمى ؟ الى متى ووضعنا من تفرق الكلمة لا يتعدى ليت

فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من العرب بعد اليوم يلتقيان ؟

ولم لا ننكر الإنكار الشديد على من يذهب الى أن الوحدة من المستحيلات ؟ ولم لا يكذبه الواقع ولم نحوّل الإمكان عن مكانه وننقله الى المستحيل ونترنم

بالقول :

واذا رجوت المستحيل فإنما تبنى الرجاء على شفير هـــار

أيبلغ بنا الأمر الى هذا الحد من اليأس ؟ لدرجة انقلاب اطرادنا الى انعكاس وموت الإحساس بشدة الباس .

كان المحدود موجوداً بوجود الحد ، وكان جامعاً مانعاً من دخول غـــير المحدود فكيف انعكس الأمر وانتكس وانقلب على رأسه ؟ كان عددنا غائباً فى الواحد لذلك كنا أبناء جلا وطلاعى الثنايا وطليعة الأمم فكيف صرنا فى المؤخرة واظلمت سماء سموّنا بعد أن اضاءت بمعارفنا الأمم وهابتنا دول الارض فكيف رجع ماؤنا مهينا ؟ وكان نزلنا الاعراف فكيف عدنا اعراباً فى المنخفضات ؟

من المبكى المحزن ان بذور التفرقه صار يبذرها الكتلتان الغربية والشرقية فتنبت حتى فى صخور أرضنا ووهادها ويساقيها من لا ذمة لهم من الوكلاء والعملاء الذين أعماهم الطمع وحب المركز والمفرطون فى الأنانية وحب الذات وكانت النزعات بادئ بدء نبتات ثم انموها حتى صارت شجيرات ، ثم اشجاراً واخيراً امتدت جذورها وغلظت سيقانها حتى صارت دوحات يستظل تحتها الاستعمار من جهة وأناخ تحتها أرباب الدعوة الخبيثة والنزعة الهدامة فأصبح اجتثاثها متعسراً إن لم يكن متعذراً ، فعسى أن تستأصل الوحدة التى تزرى بالمستحيل جذورها . إن أول اسلوب وفن يقوم به الغرباء عن العرب والإسلام إضعاف العقيدة بالدين ، وتفسيخ الأخلاق ، ثم تغيير ما ورثه العرب والمسلمون من عادات طيبة وعنعنات شريفة ، وصفات مجيدة حتى اذا ما فسدت الفطرة وماتت من الأنفس النخوة جاء الإلحاد فانحرف الوسط عن السنن وحاكوا المسمّم بالحركات والسكنات فكان الانفراج والاختلاج بفساد المزاج وصار المجتمع ينتابه فى كل مطلع زلزلة وارتجاج وتصـــديع وازعاج وإن لم يكن الأمر كذلك فأى أثر جلبه العامل فى آخر كلمتنا ؟

وما الذى غيّرها وما الذى جزم أفعالنا ؟ أولعنا عفواً وبلا سبب بأن الاعراب هو ما به التعبير والاختلاف ؟ وما الذى اعترض طريقنا ؟ أليس الداء منا وما نشعر والدواء فينا ولا نبصر ؟ أعمىً أم تعامياً ألسنا نكون قد أجرمنا إن تعامينا وننشد :

ولما تعامى الدهر وهو اخو العمى عن الرشد فى انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل انى اخو العمى ولا غرو إذ يحذو الفتى حذو والده

فهل كان والدنا أعمى ليصح المثال ونضرب فى عماه الامثال ؟ والصحيح ان يدنا هى التى وكت وفانا نفخ ولا نلومنّ إلا انفسنا ، ولم نكن عبيداً أرقاء لو لم نعدل عن سنن الإرتقاء . كان اسلافنا لا يهابون يوم الروع الاعتناق فصرنا الآن لا نفكر حتى فى الاعتناق ، فهل من سبب لانحناء قامة مجتمعنا واعوجاج اعضائنا وتقوس ظهورنا هل من سبب لذلك إلا ان العربى اليوم غير العربى بالأمس ؟ والمسلم بحاضره غير المسلم بماضيه ؟

وإلا أأكثر من العدوان على اقليم عربى هو عين قلادة الاقاليم العربية ؟ أأكثر من الانزالات ؟ أأكثر من قضية فلسطين ؟ أأكثر من قضية الجزائر وكم الذين صاروا اضحية تحريرها ؟ أأكثر من العقود والأحلاف والمواثيق والمؤامرات التى كان يحوكها وينفذها عملاء الاجنبى ووكلاؤه ؟ أأكثر من التحريشات وتأليب هذا الاقليم على ذاك والقاء العداوة والبغضاء بين حكامها الذين يتجاوبون معه ، ولا يقولون له : لا ، حتى فى تشهدهم ؟ أأكثر من نشاط الفوضوية فى البلاد العربية وما انزلوه فى العراق من بلية وداهية ورزية ، أنحتاج بعد هذا الى الخبر ؟ أنطلب أثراً بعد عين ؟ وهل من ريب ومين ، بعدما شهدته العين من الأين والبين ؟

ولقد علمتم الذين اعتدوا فى السبت ، ولو كان العرب بمعنى كلمة العرب ، والمسلمون بكل معنى المسلمين ما استطاع هؤلاء الجبناء والذين هم آلافٌ وكل مستقذر ما استطاعوا أن يتمركزوا ويرسخوا اقدامهم فى بلد عربى مسلم

بعد ان نكلوا بأهلها وطردوهم . بعد ان قتلوا النساء والاطفال والشيوخ والعجزة ، ومن ينسى ما فعلوا بدير ياسين وامثال دير ياسين ؟ واستولوا على اموال وما كان يملكه اهل البلاد من منقول وغير منقول ؟ وهل كان فى مستطاع اسرائيل التى هى اجبن من الصافر ان تثبت لهم قدم لولا خذلان حكام العرب العملاء لشياطين الاستعمار ؟

فيا لله مما نزل بساحة العرب وديار المسلمين ، وكيف عصف الدهر بهم حتى جرّهم اختلاف كلمتهم أن تمسى اعناقهم صاغرة حتى لإسرائيل وكأننا لسنا الذين كان سنا برقنا يذهب بأبصار كبريات الدول ؟ وكأن اسرائيل ليست هى التى يقول عنهم الكتاب المبين : [وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً] فكيف انعكست الآية علينا ؟ هل من سبب لذلك غير اختلاف كلمة العرب والمسلمين ؟ ذلك التفريط الذى كسر السد وأتانا بشرّ المد وقطع علينا الطريق ، ولا نشعر بالاغلاق على عقولنا الذى افقدنا شعور بعضنا ببعض .

ليس بعربى ولا مسلم من أملى جور حكمه على شعبه ، وسخر البلاد قهراً وحملها حمل الرحى على الطحن ، واقحمها اقحاماً وبدّل إقبالها إدباراً وخصبها قحلاً واقتاراً ولم يبال بقوله لموكله بالنار (فجزاهالها الإدبار) ولم يتردد عن تبديد مالها واقتناصه كما يقتنص الصيد ، وعلى الرغم من انه الآلة والمفتاح لفتح الأبواب للأجانب تجده يلهج بالعرب والإسلام ، وفى الوقت الذى هو خائن أمانة العرب والمسلمين تراه مسترسلاً فى الموبقات ومنطلقاً بمحرم الشهوات واللذات ومغموراً فى المجون لحد الجنون وفى حفلات الرقص والسهرات . أيعدّ مثل هذا من العرب والمسلمين ؟ ان العربى الأصيل غيور والمسلم الصحيح من يسمع الإسلام سماع قبول وينفذ كل ما يقول ويبدأ بمن يعول .

إن الذين يشتغلون لحسابهم من حكام العرب ويبايعون شعوبهم مغرورون بحلم الزمن ولا يطرأ على بالهم مخبآت صناديق القدر الذى نزل بنواصى أمثالهم ممن حضر وغبر ، ولو كانوا مدركين ادراك العقلاء لحسبوا لخفيات الغيب حساباً ولم يفرطوا فى حقوق الشعوب بالافراط بالإعتداد بذواتهم فان الله لا يضيع شعباً لا يملك غـــير التأفف والتوجع والتأوه وغير أن يقول : (فآهى وما من شاهدٍ لى سوى آهى) .

ولم تخطّى التوفيق من أصابه النصيب ذلك الذى أسال الدماء وأساء الحال واوقع البلاد فى البلاء والوبال لم لا كـان كمن مان ولا خان ولا زال ولا مال ؟ لم لا يكون كمن قد غرس شجر ثورته فى ارض صدر فيها الغرس ونما واثمر وآنى اكله طيباً بدلاً من غرسه شجراً مر الثمر ، ومع هذا هجّيراه الكذب والدجل بلا حياء ولا خجل ويلحن لحن الداهية المتفضل ، والحال ان لحنه قد عرفه ذوو الألباب ، فأين من جننه حب العظمة ويكرر وهميات منجزاته على الناس ؟ أين هذا الذى طحنه افراطه فى ظلمه ممن أجلى وجلى الغيوم عن بلده وعبر بمنجزاته لشعبه القنطرة واقتحم العقبة ، ولا ينى جاداً بالصعود بشعبه حتى يبلغ الذروة ، أين هذا المنطمر بسوء فعاله ممن قد صبّح المنزل ؟ وأين أشباه المنطمرين وأمثال المندثرين ومن لا يزالون يتخبطون بصحراء التيه ولا يدرون أين الطريق ممن عرف كيف ينهج ؟ وليتهم وقفوا عند حدهم من الإدعاء الكاذب ، بل مع ما انهم جعلوا البلاد بتراء منقطعة عن خيرها وهم باسطو أيديهم على خير البلاد وأهلها (كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) مع هذا يتهمون المخلص بالغش وهم أهـــل الغش ويصفون البصير بالأمور بالعور وهم العميان ، ويجعلون أهل البلاد بغاثاً وهم جوارح ، ويضيعون مال البلاد ويبعدونها عن خيرها ، وسياستهم مع الأجنبى نعم وكرامة ، ومع الله لا حتى فى تشهدهم بلا استثناء ، ويحولون دون أن يبحث الشعب عن علله وعن العلاج الذى يعالج به علله ، وفى نظرهم ان الشعب

لم تتكامل قواه العقلية ولم ينضج . ومنعوا الشعب أن يشرب بعروقه ومنعوه الامتصاص ، وجعلوه كبلية ناقة تحبس عند قبر صاحبها ولا تسقى ولا تعلف حتى تموت كما هى عادة الجاهلية ، هؤلاء ليسوا رجالاً فضلاً عن انهم رجالات لأن الرجالات هم البقايا فى الخالات ، وإلا فما وجه فتور الطبع عن العدل والنزوع الى الظلم ، وما علة صرف نظرهم عن المحاسن العقلية وما الذى كان يمنعهم عن تحرى وجوه الصلاح لذلك فهم دخلاء الأسرار التى يفضحها الأحرار الذين على أيديهم يؤمل أن ترتق الفتوق وتخاط الشقوق وتلحم الصدوع وتوحد الصفوف ويرفع الكابوس ويصفّى الجو وتوصل البلاد الى منشودها الضافى وتشرب النمير الصافى ويبارك فيها ويكثر خيرها ويدحض عرمها ويدفع شرها ويبعثر تراب ترتبتها ويخرج ماؤها ومرعاها وينفض عن رأسها الغبار وتنتعش بعد أن ذبلت غصونها وذوت فروعها وتحيا بعد موتها ، يفعلون ذلك دون تعثر كما تعثر من لا نية له وعثرت رجله بخطامه فسقط ولم يقل له (لعا) اولئك الذين اسكرهم الغرور فنقشوا صوراً لإجرامهم تتبرأ منها الإنسانية ، لأنهم فوتوا الحكم بالحد ولم يحصلوا البلاد إلا على الرسم الوهمى ، وفى باب عدم الإنسانية ، إلا على السفك والإسراف بالارواح والاعراض والاموال ، فسلكوا الطرق المعوجة والسبل المنحنية ، والمختنقات الوعرة فكان الذى كان مما لا يجهل ، ولو سلكوا الجدد لأمنوا العثار .

كانوا الأفاعى ويخيلون للناس المخلص أفعى ، ولو قصروا عن ثيابهم لكان أجمل لهم لأن المغالطة بالباطل لا تأتى بطائل ، ولكنهم يحقدون لظلمة ضمائرهم ، ويظنون انهم بارعون فى التحويل والتغيير والتبديل والتحريف والتضعيف ولا يدرون ان البهرج والزائف لا يقع من قناعة الناس إلا بمقدار ما تحمل الابرة تغمس فى البحر وتخرج منه .

ومن أدوائهم فى أنفسهم انهم يقلبون الحقائق ويعادون الصديق المخلص

للأمة ويتالفون المبغض لها ، ويتخذون غرضاً من يبنى ويرمم ويصادقون من يخرّب ويهدم ، ويغيرون الشيء من صفة الى صفة ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقلبون الألفاظ وينكسون المعانى ويرون الغريب طويل الذيل ، ولا يأبهون بالمواطن اذا لم يكن من الموالين لمبدئهم الهدام ويعتبرونه غريباً وإن تعسّر عليه القوت ، ويبعدون بين الأجزاء ، وعنتاً يدّعون انهم بصراء بمداخل السياسة ومخارجها ، ويطعنون بالصالح من رجال الأمة ويستهدفونه للذم والشتم ويرمونة بأحجارهم ولكن أحجارهم ترد عليهم ، فيعود حسدهم آكلة تأكل قلوبهم وينقلب طمسهم اسم المخلص ظهوراً وحطتهم له رفعة ونقضهم له استواء وتعويجهم استقامة وجرحهم تعديلا وتكريههم له حباً واخماد ذكره انتشاراً وهكذا ينقلب ما عليه له ، ويعرف المخلص بكونه الأثقل على صدور الاجانب الطامعين ، وبكونه الأحب الى قلوب شعبه والى امته العربية بعكس من ليس على ضميره رقيب فيخادع شعبه ، ويقول الشيء وهو بخلافه ، ويشايع الحقيقة بلسانه وهو ضدها بأفعاله ، ويتكلم بالشعب وهو مشعّبه وبالأمة وهو عدوها وبالجماعة وهو شعوبيٌّ مباينٌ للعرب والإسلام ، فمثل هذا ليس له حدٌّ يقف عنده وهو ذئب يتقمص جلد شاة ، ويهون عليه تجريع البلاد كأس المرار واصلاؤها بالنار وصبّه عليها سوط عذابه ، فأين من هذه صفته ممن يحيط بلده بسياج لم يستطع الاجنبي كسره ، وقد أمم من المشاريع ما أمم ، وما كان قد تصدّع رمم ، وأنمى وأدر وأنعش وأنهض ، ودفّق ونظّم ، ومنّع وصنّع ، وقضى على الاستئثار .

ولولا أحجار الارض التى ابتليت بهم البلاد العربية لردّ ما اغتصبته الصهيونية من أرض العرب ، إن واقع الأمة العربية بحاضرها هو هذا ، ولكن الظرف متنقل وان غداً لناظره قريب . إن ميزان الحقيقة لا يكسره التفاضح والتفاصح والتقاذع ، ولا يستر عورة من لا يستحى من كشفها ، ولو كان بدل التفاضح التناصح لصفوا السر بينهم وأخذوا الأمر بقوابله ،

ولم يضيّعوا صدر الأمر ، ولأخذوا ما طفّ لهم وما دنا وما قرب ولم يؤخروا عمل اليوم الى غدٍ ، ولكن النظر الى أنفسهم فحسب هو الذى كان فيه الداء الذى تعسر منه الشفاء فأدى الأمر الى ما فيه عناء ، لأن جذور الشجر التى يغرسها الاستعمار لا يقلعها إلا تصفية السر واتحاد الكلمة ووحدة العرب ، أما الذين لا يهمهم بقاء البلاد العربية بقرة حلوبة للأجنبي ولهم أنفسهم وما لأهلها إلا روثها وبولها ، ولا يهمهم اعجاف البقرة ومنع أولادها من الرضاع ، ونظرهم داهن الاعداء ولو اعضل الداء ، فهؤلاء هم الداء ، ولم لا يكونون الداء وهم أعداء الاخوة الاكفاء ، وعبدة الإمارة ولو على الحجارة ، فكيف اذا كانت الإمارة لهم منعةً ومتعة ودَرّاً ودُرّاً .

إن حبهم للإمارة أنساهم أن يذكروا أن (من أمن الزمان خانه) وإنما الذى فى ذكراهم أنهم آمن من حمام مكة ، إذ لا تثار ولا تهاج ، وانهم بالتفكير والزمان بالتقدير ، وغرورهم قد عقد فى أنفسهم عقدة الجبار .

واعجباً لهؤلاء المغترين (وقد خلت من قبلهم المثلات) وشهدوا بحاضرهم ما شاهدوا (فكلاً أخذنابذنبه) وتبين لهم كيف فعل القدر بأمثالهم وضرب لهم الامثال وكم منهم من تمنى النجاة وقت الفوت ؟ ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل ، أما صاح بهم هاتف الانذار (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) كم منهم من دارت عليه دائرة النعم قد دارت عليه دائرة النقم فأصبح حصيداً كأن لم يغن بالأمس ، ولو كان ذا عقل لحسب للقدر حسابه ولم يكن من الزمان على ثقة ، ولاشترى نفسه والسوق قائمة والثمن موجود ولم يسمع حديث نفسه المسرفة المسوّفة ، ولكنهم من خدعهم حديث أنفسهم ، بأن البوارق قد تخلف فأخلفهم الظن بأن البوارق التى ظنوها خلباً كانت صواعق اصعقتهم ، فكانوا من ظنهم كالطائر الذى بحث بمخلبه عما

يلقطه فوقـــع على شفرة فأخذها الصياد فذبحه بها .

إن هؤلاء الذين كانوا يكابرون الزمن ، واتخذوا وليجتهم تطبين عين الشمس بالدجل لو كانوا من أهل التوفيق لكانوا كمن شعبه مغتبط به ، والامة العربية ممتنة منه ، ولكن لم يكتفوا بأنهم حسروا عن أن يلحقوا به حتى خسروا محبته ، ولم يكتفوا ببغضهم له حتى اتخذوا من أهم منهاج اذاعتهم شتمه ، ولو استطاعوا كمّ الافواه عن أن تذكره لفعلوا ولو ادركوا أنهم ان استطاعوا أن يحظروا على شعوبهم ذكره بخير فهم أعجز من أن يستطيعوا الهيمنة على القلوب ، والشعور لا يكبت كالمعطر مهما احكم سدّ نافذته فلابد من أن يعبّق .

إن الحكام الفاشلين صاروا يتصامون أن يسمعوا (انفك ويدك منك) وإنما الذى يسمعونه (رب غريب أنفع من قريب) .

إن شعباً هؤلاء حكامه ، هؤلاء الحكام هم أصل العلل وأولى بالشلل . فمن تاريخ بعض من هم علة العلل من حكام العرب ما كان منهم يوم العدوان الثلاثى على مصر فكانوا أول يوم العدوان جذلين لنظرهم انه قد آن اليوم الذى تنطفىء به نار جمال عبد الناصر ويختفى اسمه ، وكانوا فرحين بسقوط حاميته صرعى بنار العدوان ، ولماذا كان شعورهم هذا الشعور ؟ لأنهم عميان ويريدون لعبد الناصر أن يغمض عينه تعامياً ، أو ليكون كالثعلب الذى انقطع ذنبه فطلب مخادعةً الى الثعالب أن يقطعوا أذنابهم ليتساووا فى التشويه ، لكن عبد الناصر الذى هو من يقظته وحذره ليس بطائر يصاد ، عرف موضع قدمه قبل الخطو وأمن مكر العدوان ولم يثنه عن عزيمته الطم والرم وما ضأى من سلاح العدوان وما صمت حتى كتب الله له النصر ، فعاد فرح المتوقعين نكبته حزناً عليهم وانقلب فى تبلور موقف مصر عرس العملاء الى مأتم ومناحة وبطـــل سحرهم وما كانوا يبيّتون ، ولم تجدِهم بقبقتهم وزقزقتهم .

إن مصر لم تكن المعتدية ، ولم تطلب الصيد فى عريسة الاسد ، وإنما العدوان هو الذى باغتهم من فوقهم ومن أسفل منهم واستردفهم من خلفهم ، واذا كان الأمر كذلك فما المبرّر للفرح بالهجوم عليهم إذ ذاك ؟ أيفخرون بباطلهم ؟ أغزا المصريون لندن أو باريس أو على الأقل تل أبيب ؟ فما وجه انشراح صدورهم وطيران قلوبهم فرحاً بالهجوم عليهم ؟ لا شك أن القوم أعـــداء لمن ينهج نهج الصدق والإخلاص لشعبه والفرحون لا يجتمع اخلاصهم للأجنبي والاخلاص لمن يحكمون ، لأنها قضية مانعة الجمع فآثروا الاخلاص للأجنبي فبرز عبد الناصر كأنه علم فى رأسه نار وهذا ما جعلهم يحسدونه لافتراقهم فى الطريق لأن مذهب العملاء (بقّ قدميك) وإلا فالأمر ليس من المتشابهات .

أجل طريق الوكلاء (سريع الى ابن العم يلطم وجهه) وطريق المخلص كعبد الناصر هو العمل لا لشعبه فحسب بل للأمـــة العربية جميعها ، وأمر عبد الناصر من هذا أبين من فلق الصبح ، والوكلاء للأجنبي اتبع من الظل . ونظر الحر الكريم (تموت الحرة ولا تأكل بثديبها ونظر العميل (ليس لما قرت به العين ثمن) ونظر المخلص الأصيل (أنّ من فقد الإباء فقد فرّ عن الآباء) ونظر العميل : دنياك ما أنت فيه . ونظر العربى الأصيل أن العربى من يحمى اجمته . ولا يكون جباناً ولا نعامة ولا صافرا ولا يجبن وإن كان الأجنبي ذا فوق وليس بعربىّ من يعيش ليأكل وليقتنى ، وليس بعربى من تكون لعباته لعباتٍ يسترها بغطاء جدٍ ، والعربىُّ من يعرف كيف يجذب الزمام ، وكيف يريض الصعاب اراضة تجعل الصعب ينقاد اليه . ولنا من ذلك مثل الجزائر فعلى الرغم من حول وطول فرنسا وعدم تكافؤ قوة الثوار لقواتها نجد الصعاب قد ريضت للجزائر وثبتت تجاه فرنسا كمثيل ، ولا شك ان لعبد الناصر فى نجاح الجزائر اصبعاً بل يد الكريم ، وهل يريض الصعاب من لم يعف ، ولم يكتف بالرشف دون الجرع وبدون السرط

والكرع ؟ مع أن المصّ أنفع والرشف اقطع للعطش وانجع ، ولا يريض الصعاب من يُرضى نفسه بقهر الشعب ، ونكبة العرب ، ولا يريض الصعاب من يخادع شعبه ويماكره ويدجل ويشعوذ ويزيّف ويزخرف ، ولا يريض الصعاب من يفتح باباً للقال والقيل بما هو غير جميل ، ومن يلحن لحن ضيّق الصدر وليس بأهل للحكومة ، ولا يريض الصعاب من هو كالجمل من جوفه يجتر كالدكتاتور مطر .

كان رئيس حكومة الحكم الملكي يدّعي أن له اصبعاً في ايقاف العدوان على مصر يقول هذا ليموّه نحاسه بطلاء يذهب بصفة ذات النحاس ، والحال ان الواقع يكذّب هذا الادعاء الفاشل . والحق يقال ان الذي له اصبع في الانتصار لمصر بالحجة إذ ذاك هو روسيا ولكنها نقضت فضلها بتبرّمها من حكومة مصر بسبب تعقيبها المخرّبين كتبرّمها من حكومة ١٤ رمضان ٨ شباط لتعقيبها الخوارج من الهدامين منذ يوم الثورة المذكورة . وكما ان حكومة مصر لم تسكت عند فضولية روسيا حتى اعتذرت الثانية كذلك لم تسكت حكومة ١٤ رمضان عن الرد على فضولية روسيا . ومن ذلك نعلم ان جهاز الحكومة العربية المتحدة من المكانة والاتزان وصلابة العود وثبات الموقف ما تحمد عليه كما ان حكومة ثورة ١٤ رمضان من المرونة والصلابة ما لا يهمها الوعوعات وفضوليات روسيا ومن لجأ اليها من المخربين أهل العقوق والتبعية للغريب وكذلك نعلم ان صنيعة روسيا تهدمها منّتها .

إن الجهاز الحر كجهاز الحكومة العربية المتحدة وجهاز ثورة ١٤ رمضان لا تعمل فيهما واو المعية ، ولا واو الجمع ، ولا واو الصرف ، وكيف تعمل هذه الواوات في جهازين واوهما واو العطف على شعبهما وعلى الامة العربية ؟ وأين جهاز واوه واو العطف على شعبه من جهاز كانت نتيجته واو الحسرة والندامة على ما فرط في جنب الشعب ؟ الجهاز الذي كان مفعولاً معه للأجنبي أعم من أن يكون الأجنبي رأسمالياً أو فوضويا .

ولو كان كل من الجهازين الملكى المباد أو القاسمى المحروم من السداد يملك جزءاً من الانسانية لما أتبعوا نقمة ، ولو لم يستبعدوا ما وقع عليهم لحسبوا للأمر حسابه ولكن مع شيطنتهم لم يعرفوا المقطوع من الموصول ولم يفرقوا بين الثابت والمحذوف ولم يميّزوا بين النكرة والمعروف ولا بين الصفة والموصوف ، طالما أذّن فى آذانهم النصيح : يا قوم اتقوا ولا تقوا ولكنهم يأبون إلا قلب القدام خلفا ، فاستدبرت سياستهم الماضى ، وقضت على الحال وهددت المستقبل وذلك ما طوّح بهم وصيّرهم أحاديث ومزقهم شر ممزق .

ولو رعوا البلاد حق رعايتها وراعوا الأمانة ولم يخونوها ، وحموا الوديعة وحفظوها ولم يصدفوا عن الامة ولم يفوّتوا عليها سوانحها ، وصدقوا العدل وانصفوا ولم يلحوا فى الظلم ولم يلحفوا لما انقلب عرسهم الى مناحة ، مع وجود حرسهم الذى كان عندهم مناخة ، فأين هم من تفكيرهم فى أنفسهم وأين ضبطهم وربطهم ؟ والى أين صاروا ؟ وهكذا تكون نتيجة الواله المدله ، وهكذا تكون نتيجة من لم يكن من لدات الأتراب ، وهكذا يكون أمر من بسط ذراعيه وتصرّف فى مال الشعب وأرواح الشعب ، وهكذا تكون عاقبة من جنى على الشعب بجنونهم أن توجب جنوبهم ويطأهم الغثاء ويقطعوا منهم الوتين ردّاً على قطعهم نياط قلوب الآمنين .

ولو روّحوا البلاد بالرّياح اللواقح المبشرات لما هبّ عليهم الاعصار الذى فيه نار فاذهب ريحهم ودمّرهم .

أحجار الارض هل يعتبرونه ؟

فهل يعتبر احجار الارض أهل الدم الذى يسفكونه بغرائز التوحش اولئك الذين يرآؤن بما يُروون لا ليروا العطاش ، ويلبسون الحق بالباطل لا ليلبسوا الرياش ويسدلون المستور لا ليسدوا الخير ، وإنما يلهجون

بالعامل والفلاّح ، لا بقصد الفلاح ويرثون للمهنيّ والملاّح ، ويخبؤن السلاح إعداداً لتنفيذ مخططاتهم لازهاق الارواح ، ويبيحون المِلاح ويستهزؤن بحيّ على الفلاح ، ويقلبون الفساد على الصلاح ، ويختارون وعر الطريق على فسحة المرور وتقبيح القلوب والايغار فى الصدور ، ويدّعون أنهم يريدون بدعوتهم اشباع البطون وهم يبقرونها . ومتى كان التجويع إشباعاً والتعرية إكساءً والتفقير إغناءً والاخافة تأمينا والترويع والارهاب تطمينا ؟ والتقتيل حياة والاجرام فعلاً انسانياً ؟ الله أكبر عما يقول الظالمون علوّاً كبيرا .

أما لماذا يفعلون هذا ؟ فلروحٍ يتردّد فى مخارقهم ومنافذهم . وبالنتيجة لا شطراً حلبوا ولا نفعاً جلبوا ولا ضرراً دفعوا ولا أرضاً قطعوا ولا ظهراً أبقوا ، بل كانوا هم البلاء .

وأين أهل هذه النزعة من مبدإ هو فى مرتبة الانشراح بنور الاسلام هو صدر وفى مرتبة المراقبة قلب ؟ ولو كان لهم رحمة وجدانية وقلبٌ من الانسانية وعطف نفسانى الذى هو مبدأ الاحسان وإيصال المسار ودفع المضار وافاضة الخير لما كان منهم ما كان ولما شقّوا بطوناً وادلقوا أمعاءً وقطعوا رؤوساً فى حوادث سجلها التاريخ بالدم الذى سفكوه بعرائز توحشهم .

إن الذى وسع إجرامهم داقّ الوتد وشاقّ الجدار قاسم البلاد ومشعّبها ولكن ما هى نتيجته وزمرته ؟ انهم ذهبوا بلا رجعة تتبعهم اللعنة ، ولماذا لا كان رحيما زكياً ، ولماذا لا كان جنة الناس ؟ لا شك ان أعماله واجرامه ناشىء عن خبث روحه وسوء سريرته وشدة قسوته ، وكل هدفه مما أجرم بقاء حكمه الدكتاتورى وإلا فليس كل موآخذة جزاؤها الجحيم ، على فرض أن هناك داعياً للموآخذة ، فكيف اذا كانت الموآخذة على لا ذنب سوى ان الموآخَذ ليس من الحمر الهدّامين والموآخِذ قاس لعين . ان قسوة قاسم داء قد يكون متحدراً من افق مخيّلته الى حسّه المشترك وهذا ما صيّره

يرى برؤية الطبع لا برؤية العين ولا برؤية القلب ، لذلك كان يتلذذ بسفك الدماء وهدر الأرواح ، وكأنه يعمل خيراً نعوذ بالله .

ولم يجر على خاطره أن العدل حظر على حاكم يعطى قراراً وهو غضبان أو منفعل ، أو قلق النفس أو مضطرب المزاج أو جائع أو متضايق بشبع لئلا يؤثر على العدل . لكن هذا الدكتاتور الغاشم لا حظ له من الرفق والرحمة ، ولا فرق عنده بين سياسة الاسترقاق وسياسة الاعتاق ولا بين سياسة التقييد وسياسة الحرية والانطلاق ، ولا بين سياسة الابقاء والرفق وبين الازهاق والارهاق . ومن غروره اعتقاده انه من لا يرقى اليه الطير ، ولعلوه فهو بمنجاة من أن يتناوله السيل ، ولظنه انه الليث حرم من الريث وإدراك الحيث ، ولشذوذه كان يستمرئ الحلو ويستمرأ المر ، ويبقى دائماً ويرعف ، فكان يفكر كيف يقدر لكنه عثر فى خطامه ، لأنه لم يملك صواب الظن من جهة ولأنه كان ضالاً من جهة أخرى ، لذلك حقت عليه كلمة الحق بأن يكون مصيره الى ما صار هو وعصابته اليه ، وقد كانوا يظنون أنهم يأوون الى ربوة ذات قرار ومعين والى الكهف والحصن الحصين ، ولم يحسب ان شمسه ستنكسف وان صبحه سينقلب عليه ليلاً وحندسه على الشعب سيبدده نور العدل ، ودورة فلكه قد انتهت ، وانسلخ دور تفريقه الشعب الى انزاع وحل مكانه دور الجماعة والوئام والسلام ، وعادت ليالى الشعب بيضا وتبدل الظرف الذى كان يرنو اليه الطرف ، وتصرف الظرف الجامد بظرف متصرف ، وضحكت الأيام بوجوه العرب والاسلام بسبب الوحدة على أيدى اولى الأحلام ، وقوى الأمل بأن تكون العرب هى الآلة لقدرتهم ومزاولة امكانياتهم وتحصيلهم على منافعهم بقدرة صنائعهم ، وانمحى من الأذهان القول ما لنا بالأجنبى يدان ، فالذين هم ميمونو الناصية هجيرا خواطرهم وشعورهم الى مَ .

الى متى يبقى جناحنا مكسوراً ، وذراعنا مرضوضا ؟ ألسنا الذين كنا أعلى

الناس منكبا وأرفعهم منصبا ؟ أسرقنا حتى قطعت أيدينا ؟ كنا اولى الأيدى والأيادى وخطباء النادى وذوى المنعة من الأعادى ، فكيف هبطنا الى حضيض الوادى ، وصار داؤنا يعدى ونقبّل الأيدى ، أليس هذا من باب مخالفة الفرع للأصل ؟ بينما الفرع لا يخالف أصله .

الأضمن لتحقيق الصالح العام هو اشتراكية الاسلام :

الى متى هذا الى اليمين وهذا الى اليسار ، ويبرر كلٌّ حجته ؟ فيزعم لسان حال اليمينى أنّ فى واجهته الحركة التى هى جهة المشرق الذى هو (يمين الفلك ، وأنها مبدأ الحركة العظمى . ويزعم لسان حال اليسارى ان اليسارية يسران واليمينية عسر ، ولن يغلب عسر يسرين ، ويضيف الى هذا أن اليمينية أسرّ ، وانها حجر ، والحجر لا تنعصر . ويردُّ اليمينى على اليسارى بأن اليسارية يخالطها لون أحمر ، لون الدم . فيدفع اليسارى ذلك بأن فى اللون الأحمر بياض السلام ، وان اليسارية الشجرة المثمرة للعامل والفلاح ، ويأتى اليمينى فيردُّ على اليسارى بأن اليسارية تحت جلدها قلب الأذؤب ، وان شجرتها لا تتجاوز جذورها سطح الأرض وهى خنق للحرية ، والرق والعبودية ، وغصب للمنافع من يد أهلها ، واقلاق للنفوس ، وانحراف عن الفطرة الانسانية . أما عدم ادراك اليسارى المفرط والمفرّط طامتها فهو من خطأ الحس الباطنى كما يخطىء الحس الظاهرى فيرى الذباب يطير بالليل ناراً ، والسراب ماءً ، والظلّ بضاعفات الشبح وهكذا .

ويأتى الذى لا يمينى ولا يسارى ، فيقول لليمينيين : (ما لكم عن الصراط ناكبون) والى غير أهليكم ترجعون ، وملعون من انتسب الى غير مواليه ، وصار الى أعاديه . ويقول لليساريين : (ما لكم الى نصب توفضون) وعن الحرية تهربون والى العبودية تنتمون والرقّ تختارون . ويقول لكل منهما : أليس أبوكم الاسلام ؟ أليس عنصركم العرب ؟ أليس نبيُّكم عربياً ؟ أليس

الكتاب الذى نزل عليه عربياً؟ أليست أرض العرب مكم والولد أيلحق بأبيه والى أمّه يلهف اللهفان ؟ أليس الاسلام قد جمع الى العربى غير العربى برابطة الاسلام ؟

أليس فى اشتراكية الاسلام غنىً عن اليسارية ، وعن اليمينية وما فيهما من اختلاطات واشتراكات ؟ أليس الاسلام قد اخرج الشعوبى من الرابطة ؟ لأنه دأباً يسعى فى تفكيكها كما لمسناه من عمل الدكتاتور مطر الذى هو عدوٌّ للإسلام وعدوٌّ للعرب ، ولعداوته لها غلغل فى صدور الشعوبيين عقيدة ابادة من يغار على الاسلام والعرب .

إذن فاستغلّوا يا مسلمون يا عرب تربتكم ، وعدّنوا معادنكم ، وأحكموا صنائعكم يتفجر عليكم الخير تفجيرا ، فيمينيتكم بلادكم التى فيها اليمن والبركة ويساركم فى اشتراكية الاسلام التى فيها مساركم .

وبعد اليمينية واليسارية ماذا ؟

بعدهما تناحر النزعات الحزبية إن أدّت الى تباغض وتكاره وتحاقد وتضاغن ، لأن الأحزاب المتكثرة فى شعوب متأخرة لا تأتى بنفع بمقدار ما تأتى بضرر ، والسبب هو اتخاذ الحزب جسراً للعبور عليه الى نيل المأرب بعكس الشعوب المختمرة والتى تكاملت حضارياً فقد لا تكون أكثر من شورى تقلّب فيها وجوه الآراء ليظهر وجه الصواب . أما تعدد الغايات بتعدد الأحزاب فليس فيه من المصلحة بقدر ما فيه من عوائق ، وهذا شىء ثابت بالأسانيد وبواقعنا فى العهدين الملكى والقاسمى ، فقد أرانا الزمن كيف أن بعض الحزبيين بمؤخرهم يلسعون كالعقرب والزنبور ، وبأفواههم يضربون كالحية وسام أبرص ، وبأسنانهم ينهشون كالكلاب وسائر كواسر الغاب .

وبعد التجربة وبعد الذى وقع وصار وفكّك الله على أيدى الأحرار القيود والآصار ، أصبحنا ولا عذر لنا دون أن نتنطّس ونشدّ وسطنا ونوحد

كلمتنا لكسح رواسب الحكمين خصوصاً ما كان على عهد الدكتاتور مطر .

وبما أن الوحدة الثلاثية قد تحققت فالأمل أن تكون فاتحة باب الخير ، والحرز للبلاد ولسعادة المجتمع ما دام الأمل بالرائد هو صدق أهله والله من وراء القصد .

تلاحي الخصومة بين حكام الاقاليم :

على الرغم من انكفاء الزمن على أجهزة الحكم في كل من اليمن والعراق وسوريا فلا يزال بعض حكام الأقاليم خصماً لاتحادية الأمة ووحدتها ، ولا تزال الأجهزة المناصبة بيدها سلاحان أحدهما النار والحديد على من يحكمون والثاني التدليس والتلبيس والإفك والحديث المفترى . وتلاحى الخصومة على لسان الاذاعات ، وتسافه الأحلام الى حدٍ خرج من صالح البلد الى صالح الاجنبي ، كيف لا والمباين للعرب لو استطاع أن ينتف ريش الحاكم الصالح لفعل ، وبهذا تفرقت الغنم وصارت القيادة بيد العنز الجرباء ، واذا اصطلح الفار والسنور خرب دكان البقال ، ومن يقدر أن يقول للقاضي كذبت ؟ ومن يقدر على صيد الطائر وهو لم يقع إلا بعيداً عن الفخ ؟ وهكذا يحرق المأخوذ على يده الارم حتى يأتي أمر الله فيكون مصير من هو حجر عثرة مصير قاسم ومن كانوا معه في سلخ واحد ، واذا حضر القدر عمى البصر ولم ينفع الحذر .

كان قاسم يرى انه الأسد الهصور الذي لا يستطيع أحد أن يقرب من عرينه هذا والشعب يتحرق جوى ، والأكثرون أقرب الى اليأس منهم الى الرجاء للتخلص من ظلمه ، وساعة المظلوم ساعة مريض خطر ، والطبيب يتعلل بأنه لما يفرغ من حلق وجهه ، والى أن يحضر الترياق يموت الملسوع ، حتى اذا ما كان مطلع اليوم الأغر يوم ١٤ رمضان اذا بالدائرة تدور عليه وعلى أعوانه ومن هم طوع بنانه ، وأصحاب كلمته والذين قدّوا من سيوره

اولئك الغوغاء والسفل ، الذين هم معه بعلاقة السفل يمشي وراء السفل .
والمعين مناسب للمعان اولئك الذين كانوا يرون الحلال ما أحل والحرام ما حرّم ويقولون له :

فليس الذى حللته بمحرّم ولیس الذى حرّمته بمحلل

وما أكثر هؤلاء المفسدين ، وما أقلّ المخلصين الصالحين

فأما الذى تحصيهمو فكثيرٌ وأما الذى تطريهمو فقليل

ومن الأقلّين مخلّصو الشعب من الطاعية قاسم ومن عصابته الذين لو نازعت فيهم الخنازير لقضى لهم عليها لأن الخنازير مشبه وهذه العصابة مشبه بها ، ووجه الشبه سقوط الغيرة ويفترقون عن الخنازير بشدة افتراسهم وليس لهم من الانسانية غير أنهم يمشون على رجلين ، وإلا فهم مكبّون على وجوههم أما تربتهم فهي سبخة ، ومن طبع السبخة أن تمجّ الماء الصافى (ونباتهم لخبثه لا يخرج إلا نكداً) .

إن هؤلاء السفل كانوا يتذوّقون حلاوة الرضاع ولم يذكروا مرارة الفطام ولم يسمعوا صوت القدر الذى كم قال للظالمين : (أىّ يوم لكم منّى ؟) وها ان القدر نفّذ انذاره فيهم وكانوا على ضلال من أنهم السهى وهيهات أن تنالهم يد الى أن وقعوا فيما لا مفرّ منه . ان هذه العصابة الظالمة اشيمة الإجرام فيهم صار الناس لا يتعجبون منهم إن أجرموا وإنما يتعجبون إن كفّوا ، ولشيمة الافتراس فيهم تجد الناس دأبا على خوف من تنفيذ مخططاتهم ، بدليل سبق ما احدثوا فى كل من الموصل وكركوك ، ولا أثر بعد عين ، ولا أثر بعدما فعل هؤلاء المنتمون الى اخبث البقاع ترابا وامرّها شرابا واوسخها ثيابا ، هؤلاء الذين لا انكر عندهم من المعروف ولا أعرف من المنكر ، هؤلاء الدعاة الى الفرقة والأعداء الى الجماعة ، هؤلاء السفل الانذال والآفّ وكل مستقذر ، والذين فيهم المغارم مغانم ، هؤلاء عبيد الشمائل ، والذين عودهم قتار .

بم يستدل على عقلية صاحب زمام ؟

يستدل على عقليته بتناسب حركاته وسكناته وطمأنينته وضبط أعصابه فى مواطن الطيش . أما من كان كقاسم الذى هو ـ مطر ـ مطار القلب فى مبهج محلولاً فى مزعج ومن كان يتملكه النزق ويلعب فى رأسه فيمطر مطر السوء على البرآء ويخبط الغضب فى رأسه البيد للإيقاع بمن لا ذنب له ، وأحيانا يلقى الحب ليصيد فهذا ليس من تهدى الامور بمثله ، وكيف تهدى الامور بمن اتخذ الأشرار أعوانه اجتهاداً منه (فإن تأبّت فبالأشرار تنقاد) ونعوذ بالله من هذا الذى أراد أن يقيد فقيد وأراد أن يصيد فوقع فى شركه واصطيد وحفر عن حتفه بظلفه ووقع فى مهواة مصرعه وحفرت عصابته قبورها بأيديهم ، وأصبحوا عبرة ، مقابل ما كم أثاروا من غبرة ؟ اولئك الغواة الهواة الذين بعدما كانوا بغاثاً استنسروا ونعاجاً استذأبوا وعاد وكل منهم (انف فى السماء واست فى الماء) وللصبر وقت ينتهى اليه .

من جهل مطر ونفاه أشياعه ؟

من جهله كان يظن انه من الفصاحة سحبان ولذلك كان يأتى كل يوم بخطاب يذهب الى أنه البيان بينما هو الزور والبهتان . أما أشياعه من إفكه ومهازله وكذبه ودجله فهم منه كأبى الخلال من يزيد بن معاوية يمدحه بقوله من شعر :

(انك خير الناس أجمعينا) بينما أقل ما قيل فى يزيد الفاسق الفاجر

ليبكك الشرب والمدامة والـ فتيان طرّاً وطامع طمعا

وكذلك قاسم أقل ما يقـــال فيه : ليبكه الفسق والفجور والعهر والخمور وحفلات الرقص والراقصات اللاتى يصرف عليهن فى كل سهرة من عرق جبين الشعب وكدّ يمينه المبالغ الطائلة ، وشركاؤه فى الفساد يلقبونه بالأوحد ، وهو يطير ابتهاجاً إن سمع ذلك ولو لم يكن ناقصاً لقال للمطرين عليـــه : (من حفّنا أو رفّنا فليقتصد) تحوطاً من معارضة المدّاحين بايراد المثل :

(شاكه أبا يسار من دون ذا ينفق الحمار) بله الإقتداء بأمير المؤمنين علي « ع » الذى ردّ على مادحه بقوله : (أنا دون ما قلت وفوق ما فى نفسك) هذا الإمام العظيم الذى كان عنده (عدوٌّ صادق خير من صديق منافق) منافق من طراز منافقى مطر .

كانه سكوت مطر بلاغة لو عقل :!

ما كان يجدى هذا الذى جنّته المنصب الذى هو أكبر منه لكثرة ما يخطب بعدما عرفه الناس هو الكذاب الاشر ، ما كان يجديه ذلك ولو نطق بحكمة لقمان وسليمان ، فكيف بمعاريضه وخطابياته ودجله وشعوذته ؟ لذلك نجد الجماهير عدا (الذين فى قلوبهم مرض) يصمّون آذانهم ان يسمعوه ، ولو كان لصوته رائحة لسدوا آنافهم كما يصمون آذانهم ولو كان هو نبيهاً لأبكم فاه لأن كلامه اصبح من الفحم اذا كان السكوت من ذهب .

غرور مطر أبعده عن العرب :

ما كان أحراه أن يتودد للعرب ، ولكنه كان من هذا الحس على العكس ، غير ناظر الى القول : (إن كنت بى تشد ازرك فارخه) ومن طبيعة الدم أن يستعين المرء بأهله واخوانه ، والى أمه يلهف اللهفان :

واذا يصيبك والحوادث جمة حدث حداك الى أخيك الأوثق

وان الكريم من يبرم لا من يتبرّم ، وان الزيادة فى الابرام قد تدنى من نيل المرام ان مطراً كان بعيداً عن هذا الحس الوجدانى لخبث تراب معدنه وزغل دمه لذلك كان لا يكتفى بجفاء العرب ، بل الذى كان يلذّ لطبعه (ان جرجر فزده ثقلا) أو ما هو فى هذا المضمون (ان اضج فزده وقراً) لذلك وللؤم عنصره ديدنه الإلجاء الى ما يحرج والى وضع الاحجار فى طريق تقرّب العرب من العرب لأنه ليس من العرب بل ولا من مواليهم ولا مسلم

وإنما هو عدوّ الاسلام . وكان يذهب به الوسواس الى أنه من أبرزه الدهر ليعجب منه الناس . أجل ابرزه الدهر ليتعجب الناس من قسوته وإجرامه . وانه ليقرّد ، أى انه كمن يأتى بالخطام الى البعير الصعب ، ثم ينتزع منه قراداً حتى يستأنس ويدنى اليه رأسه فيرمى بالخطام فى عنقه ، وكم قرّد سذجاً من الناس ، وكم خدع آخرين ووضع أطواقا فى أعناق ، وكم قال لأناس عنهم جلاوزته انه لا يدرى . وكان هذا دأبه من الخداع الى أن أمسكه القدر فلم ينفعه الحذر .

وكم كان يتمنن على الشعب بما هو أجوف ، أو بما لا أثر له ، كقوله : حطّم الاستعمار ومحا أثر الاقطاع ، وكم أحدث من مشاريع وصنّع وزرّع ، ولو كان ما يقوله مطابقا للواقع لما جاز ان يتبجح فكيف ولا أصل لما يقول ؟ هذا وعلى الفرض انه حقق شيئا (فليس الكريم اذا أسدى يمنّان) والله يقول (فلا تمنن تستكثر) ولأن فاعل المعروف مما يعيبه ذكر جميله بقلبه فضلاً عن لسانه ، والمعروف يذهب هباءً إن لم يتناساه فاعله ، ولأن الفاعل اذا ذكره يكون قد سحبه ، وإنما يذكره أصاغر الناس كما قال المتنبي :

وتعظم فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم

أما مطر فيخلق الحبة ويبنى منها قبة ويكرّر ذكرها مدة حكمه . ومطر لا يعرف كيف يردُ ولا كيف يصدر ، ولا يعرف كيف يعشّى إبله ، وقد بذر خزينة الدولة وكان مغتراً ويرى انه فى أمنٍ من أن يجرفه سيل تلعته ، وظن انه فى منجى ما دام قد قعّد اناساً وان الضمان لتثبيت قدمه فيمن سيقعّدهم واذا بهلاكه يأتيه من حيث مأمنه كما قيل :

والمرء فى غفلاته ورحى المنية تطحن

وهكذا يكون مآل من اغتر بتكبير الغوغاء والسفل لسبق جواده ، هؤلاء الذين كانوا يحدون وليس لهم بعير ، ويسبحون بحمده ، فهؤلاء اشبه بامرأة الرجل الذى غزا فجاء جاره يسألونة عن غزوته فتقدمت زوجته تسبقه

بالجواب فتقول : إن زوجها قتل كذا ، وغنم كذا ، وهزم كذا ، فقال ابنها مبكّتاً : (أبي يغزو وأمي تحدث) . وهكذا كان منافقو مطر وأشياعه .

وكان مطر يحب النطاح ، ولكن بغير ذات القرون ، ويحاول الطيران ولكن بجناح مكسور ، ولهذا انكسرت قرونه وحطّ وهبط واقعا فى مهلكه ، وكان مزهوا ولم يدر أن الدرّة لا تكون إلاّ فى الماء المالح ، وخضراء الدمن تنوف باخضرارها على سائر البقاع ، وقد حذّروا من عقيلة الملح تحذير الحديث من خضراء الدمن فانّ ما ينبت الربيع ما يقتل ، واخضرار مطر وزهوه وطيشه وزمرته الاوقاب الاوغاب هو الذى طوّح به وبهم . فهلاّ اعتبر بجماعة سبقته وزمرته (هى اليوم شتّى وهى أمس جميع) لكنهم لغرورهم لم يحسبوا لمخبآت صناديق الغيب فجاروا وظلموا الى أن جاء أجلهم ، وهلاّ كان بدل تجبّره وطغيانه هلاّ كان من الشعب :

كباسط خيرٍ فيهمو بيمينه وقابض شرٍ عنهمو بشماله

هلاّ كان سرّه مع الشعب كاعلانه ، وظلمة ليله فيهم مثل ضوء نهاره ؟

لقد كثر الجواسيس ، ونشرهم ، حتى بلغ الخوف بالناس ان الواحد صار يخاف من الحيطان ويخاف من ثيابه ومن نفسه ، واذا أراد أن يتكلم أحد اثنين تلفت الى يمينه ويساره ووراءه .

الفوضويون وما امرّوا :

كذباً ما كانوا يدّعون من مساوات ومواساة الفقير والعامل والفلاح ، فلقد اكلوا اكلاً خضما وبملء الفم ، وثبت ما احدثوا بالمشاهدات وبما هو غنّى عن الإثبات ، كم منهم قبل تسلط مطر لا عافظ له ولا نافظ اصبحوا بعد تسلطه من الثراء ما لم يكن فى الحساب ، ومن أين لهم هذا ؟ مما نهبوا وسلبوا ، فاستغل هؤلاء ظرف مطر فصاروا يناطحون السحاب واصبحوا ذئآباً افترسوا الذين افترسوهم هذا بعد أن كانوا يساقون الى النقرة والى الحبوس ، فمن هو

المسؤل الأول عما احدثوا ؟ المسؤل الأول هو الدكتاتور مطر الذى أراد أن يرسخ بناء دكتاتوريته على الدم . وان ما احدثوه من فظائع كان يمرُّ على مطر وزمرته مرَّ اللئام . ولم يستطيعوا أن يكتموا سرورهم الذى كان يطفح على أسارير صفحات وجوههم سوَّدها الله ، وقد زاد بما هو معلوم شرحاً ما بيّنه المجرم حسن عبود بالتلفزيون وأزيد من ذلك ما اوضحه عدنان جلبيران (وشهد شاهد من أهلها فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير) .

ولقد فات مطر أن يدرك ان عمله التترى سيجعل موقفه كراكب الصعبه إن اشنق لها خرم ، وإن اسلس لها تقحَّم فماذا يعمل إذن ؟ فلخبث معدنه آثر التساهل مع هؤلاء المجرمين ، لأنه من جهة هو داقُّ الوتد وشاق الجدار فكان يعفو عن أشد مجرميهم اولئك الذين عصفوا البلاد بعواصفهم الهوجاء ولم يكن حظ الآذان غير أن تسمع البعير الهائج يخرج من فيه ويسمع هديره غير مكترث ويسوقه الى سكون نفسه عند هذا العمل (ولا عمل نيرون) هو المأرب الدنئ الذى كان يدفع بهمته أن يجمع الى قلبه القسوة ، وتشجعه على الإجترار وموالاة هديره . وعلى الرغم مما فعله هؤلاء الأوباش من فظائع وقلبوا على من لا ذنب لهم الصبح ليلاً بتحريضه ودفعه على الرغم من هذا وقاحة يدّعى أنه من به يهتدى فى الظلماء وينفجر عن السرار ، فى حين يقول لهؤلاء الكواسر إذهبوا مغفوراً لكم ، غير مكترث بأن التاريخ سيسجل هذه الأحداث بمداد من الدم ، ولكنه صلفاً كان يباهى بأنه من دخل التاريخ .

الاستفسار لا يعمر الا فاتر المزاج :

وهل يدخل التاريخ من لا يملك من حسن النية شيئا ؟ إن حسن النية علة التبصير ، والمبصّر من أقام على سنن الحق ، وتنحى عن الطريق الضيّق الوعر ، وأين من ذلك مطر ؟ الذى لسوء نيته دأباً يحفر الحفر ، وكم من

الآلاف قبر ، وكم من الآمنين عقر ، وأهلك ودمّر ، وكم من فظائع دعت الصم الصلاب تتفطر ، وكم من فجائع تذوب القلوب لما مرّ منها وامّر ، وكم من نيران دونها ما سعّر نيرون سعّرها ؟ وحبائل على أيدى مجرميه نصبها . وكم قطع مطر من أوصال ؟ وكم علق من جثث وهتك من حرمات على أيدى هؤلاء الوحوش ؟ هذا والناس فى مسكنة وقد افقدتهم الحيرة رشدهم واضاعت الدهشة عليهم عقولهم لأنهم غصوا بالماء وكانوا من أمرهم كما قيل :

أنا من كربتى أفرّ اليهم فهمو كربتى فأين المفرّ ؟

تفسير رؤوسى المجرمين بأوساطهم وأذنابهم :

كان رؤوسهم يخدعون أذنابهم بأنهم يفعلون هذه الافاعيل لأن الارض لا ترضى أن يعيش على ظهرها غيرهم ، وأروهم السراب ماءً ، وأنت تعلم أن (من وثق بماء لم يظمأ) والمخدوعون يقولون فى أنفسهم : (عسى البارقه لا تخلف)

وما صبابة مشتاق على أمل من اللقاء كمشتاقٍ على أمل

فظن المخدوعون أن السماء كأنها نزلت عليهم بخيرها ، واذا بالماء سراب رهكذا يكون من الخيبة من ركض الى النار الحمراء متذكراً القول :

النار مشرقةٌ والأرض مظلمةٌ والنار معبودةٌ مذ كانت النار

واستعملوا قياس ابليس بأن النار أشبه بالنور ، وهؤلاء أتباع ابليس مبدئهم كون النار لون الدم الذى يسفكونه ، فيجتمع الدم والنار باللون الأحمر . وكما يخدعون فى المشاهدات فيخيّلون السراب ماءً ، ويخادعون فى معانى الاشياء وحقائقها . فيجعلون القيد حريةً والجوع شبعاً والقتل حياةً والشغب متاركةً والفتنة صفاءً والفرقة اجتماعا والظلم عدلا .

ويعللون أذنابهم بأن نضالهم سيعقبه نجاحٌ لهم وسيخلو الجو لهم . أما ما يلاقونه فى سبيل النضال من مشقةٍ فيدفعونه بأن الماء الآجن يجد شاربه

مشقةً فى العاجل ، واللقمة تحدث عند آكلها الغصة ولكن بالنتيجة يجتنون ثمر التعب هناءً ، وهكذا كانوا يسحرون سذّجهم الذين يحملونهم على ظهورهم ، ولكن خابت آمالهم وساء مآلهم . فأين منهم مطر وأين هم منه وقد غيّب مطر ومجرميه بطن الارض ، ولو كان عقل لما كان أقل من الطائر عقلاً فالطائر اذا أعيا فى الطيران ذلّ وخفض جناحيه ، ومطر الأهوج لم ينزل عن بغلته حتى برّح به الخفاء ، ولو كان صاحب شمم لكبر عليه أن ينسب لنفسه انه صاحب ١٤ تموز ، ولو كان ذا كرامةٍ لما كان كذاباً ولو لم يكن سفاحاً لما كان من حادث هتكت فيه الأعراض وهدرت فيه الأرواح ونهبت فيه الاموال ولما كان له من عصابة اكلت مال البلاد اكلاً خضماً وتركت البلاد لا يبارحها الرعب ولا ينفك عنها الخوف ولا تدرى ماذا يراد بها وهناك المخططات المنذرة بقولها : اطرقى أم عامر[1] ، طأطىء رأسك ، خامرى[2] ، الزمى وجارك .

أهل النار الحمراء عباد شيطانهم :

عبّاد شيطانهم إتخذوه ملاكاً ، واتخذهم له أشراكاً ، فباض فى صدورهم وفرّخ ودبّ فى حجورهم ودرج ، وربّى روح الإجرام فيهم كما يربى الوالدان الولد فى حجورهما فصار لشدة اتحاده بهم وامتزاجه بدمهم كمن ينظر بأعينهم وينطق بألسنتهم وصيّرهم فى أصل وطنهم غرباء كما صيّروا هم غيرهم غرباء ، وصاروا يحسبون وليّهم وشيطانهم هو صاحب البيت ، وانهم حرّاسه ، فيقول هو لهم :

فاذا مسّك شيء مسّنى فاذا أنت أنا فى كل حال

ويقولون هم له :

جبلت نفسك فى نفسى كما تجبل الخمرة بالماء الزلال

---

(١) أم عامر : الضبع . (٢) خامر الرجل منزله : لزمه .

ولما كان مبدؤهم الأحمر مبنياً على إراقة الدم الحرام (ولا حرام فى مبدئهم) فالسفك عندهم حقنٌ ، والكذب صدقٌ ، والتمويه حقيقةٌ ، والخنا مباحٌ . وكان مطر زكيزته أهل هذا المبدأ ، ولو ردّ لعاد الى مذهبه هذا ولو نشرت عصابته لما تغير خبث معدنهم .

فى ١٤ تموز كان الورود ولكن المشكل فى الصدور :

بعد تسلّط مطر أصبح البلد ولا مخلّص ، ومن حيث الرغيف لا أحدٌ يسبق الى البئر ليهيء الأرشية والدلاء ، وإذن فكيف يستقى المائح ولا مائح ، وهنا العقدة ، فقد تحقق الورود ولكن كيف الصدور ؟ ومن كان يقدر أن يقول للذئب الذى صار هو الراعى : ما هكذا تورد يا سعد الإبل ؟ وبينما الناس من الحيرة يضربون أخماسا بأسداس اذا بـ ١٤ رمضان يباغت مطراً ويدثر على جهازه البنيان ، وما هى إلا ساعات من النهار حتى انقلب عرس مطر وزمرته الى نوائح فى بيوتهم وانقلبت أحزان المكبوتين الى أفراح وتنفس الناس الصعداء ولم يلبث مطر وعصابته حتى دسّوا فى التراب وهذا أقل جزاء عما داسوا تحت أرجلهم ودسّوا من ألوف ما بين شيوخ وأطفال ونساء وما علّقوا من جثث . وهكذا كانت نتيجة هذه العصابة التى كانت تحمل كالعشواء تخبط ما أمامها ولا تبالى وهكذا يكون مصير من ذهب السمّهى مختالا ، ونتيجة من منصبه فى غربةٍ منه لأنه من تخبّل بشعرة ، فكيف يتحمل هذا المنصب ؟ وهل يليق منصب رئيس دولة بمن يعضّ على نواجذه ويسمع لأسنانه صريراً تغيظاً ممن يشك فى عدم تأليهه ، فيدفع جماجم فتنةً لتحطيم جماجم شريفة على غير ذنب ؟ فكان ما فعلته عصابة السفاك مطر الذين لا يتعدّون أشلاء اللحم والذين هم الاخلاط والاوباش قلّ أن يشابهها فعلٌ فى تاريخ العالم .

وكانت الميادين ملأى بمن يعيرون سواعدهم ليصفقوا بها خراطيم تلك

الوحوش . وكانت الديار مترعة بحذرين مرسين كثيرى الالتفات ، وبأهل نخوة وأصحاب نجدةٍ يكيلون الصاع أصوعاً لمن أدركه عرق أحمر خبيث أو انصبغ بلونه وفارق أصله وعادى بلده ولكن القدر لا يغالب من جهة ولأخذ الآمنين على غرّة ، ولأن الامور مبيَّتة من قبل مطر وعصابته التى هو وهى خضراء الدمن والنى فى معدنهم دقة (١) ، وماؤهم اجاج ، وعهدهم شقاق (٢) وماؤهم زعاق (٣) . هذه العصابة التى كانت تترنح سروراً بجعلها الرؤس تطاح عن الكواهل ، وتفصل الأيدى عن المعاصم ، والأحشاء تندلق من الأجواف ، وهم فى تكتلهم المبيَّت كالجراد لا يتحلحلون ، ولم يتركوا حرمةً إلا انتهكوها ولا حريماً إلا هتكوه ولا ذرية إلا قتلوها ، وكم من ذات خدرعرّوها بعد أن قتلوها وعلّقوها ؟ ومابثّه عدنان جلميران وما سرده بالتلفزيون من فظائعهم إلا قلٌّ من كثرٍ .

وإن وجدت من أقطابهم من ينفى أن يكون له يدٌ أو رضى بما فعلوا فانها خدعة لئيم ، وليردّ عليه بالقول : (لاها الله أبعد زيد وهند وعلباء ؟ أبعد ما شهدته العين من الإجرام وهتك الحرمات أأثر بعد عين ؟ أيجهل أحد أن هذا المبدأ مبنىٌّ على القتل والسحل ؟ ألم يشجع بعضهم بعضا بما معناه :

من هابها اليوم فلن نهابها لا طعنها نخشى ولا ضرابها

ولسان حالهم : إعقروا إذبحوا ، قطعوا الأوصال ، أقضوا حتى على الرضّع والاطفال . رافعين شعار التهديم ، هاتفين بمبدإ الأم ، الأم الفاجرة ، ومن يقل لهم لا يحلُّ دم انسان إلا بكفر بعد ايمان أو زنا بعد احصان أو قتل نفس بنفس ردُّوا على القائل : هيهات هذه أساطير . ولا عجب ان قالوا لأنهم الكفر والإباحية وأعداء البشرية وأتباع شيطانهم الذى ظلوا عليه عاكفين .

لقد ضاق على مطر وزمرته العدل فمال الى الجور ، والحال ان من ضاق

---

(١) دقة : لؤم (٢) شقاق : غدر (٣) زعاق : ملح

عليه العدل فالجور أضيق ، ومن أمن مكر الزمن مكر به وزعم القتل والسحل عدلاً ضلالٌ . والآن وبعد ما وقع الذى وقع من أحداث سودٍ على أيدى الحمر فالإبقاء عليهم ابقاء على الإجرام ، وإنما الرفق واللين لمن يصلح بهما . وسالك الطريق اللاحب هو الأحق بأن يكون فى فسحة المرور . ومن سقمت سريرته صحت عقوبته ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة ، ولا انظار بعد الإنذار .

إن هؤلاء القساة كان قد غرّهم حلم الزمن عليهم والإملاء لهم ولم يدركوا ان هذا الإفساح استدراجٌ سيقع شفرةَ على أوداجهم فراحوا يطاردون الآمنين لسعة ميدان جولانهم ، ولو علموا أن الغراب يقع على الجيفة ، ويقع على الحبة ويقع على الثمرة لغضّوا من شدة ظلمهم ، لكن مطراً الذى كان أجشع من الغراب وأحرص من النملة لم يفكر فى أن ساعات سروره بما نال وأعياده ستوقعه فى قبضة القدر ساعة لا مناص ولا خلاص .

كان الناس الذين يؤذنون فى الحِب ويهمسون فى الجب قد هيمن عليهم اليأس من التخلص من جهاز مطر لأنه فى حرزٍ منيع من أن ينال وحصنٍ حصين من أن يقرب منه ، واستكثروا أهل التدمير واستقلوا أهل التدبير ، وكانوا من عدم تهيؤ الأسباب للخلاص على استبعاد ، وبما أن للظلم حداً ينتهى اليه فقد انتهى على أيدى أهل العزائم أمر مطر وزمرته بيوم ١٤ رمضان ٨ شباط . فبعد ما كانت الخواطر تردد القول :

وقالوا يعود الماء فى النهر بعدما ذوى نبتُ جنبيه وجفّ المشارع
فقلت الى أن يرجع النهر جارياً وتعشب جنباه تموت الضفادع

فبعد ما كانوا ينشدون متحرقين مأيوسين صاروا يرددون قول القرآن (كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) وهكذا ذهب الى غير رجعة من كان من لبس الشهات فى مثل نسج العنكبوت جاهلاً خبّاط جهالات ركّاب عشوات خابطاً فى ظلام ، ليس بأهل لما فوّض اليه ، تصرخ

من جوره الدماء ، وتعجّ منه المواريث مشغوفاً بدعاء ضلالة وتد دلّ على شعبه الحراب والنار وساق اليهم الحتف لأنه (ماضٍ على الريب اذا كان الريب) فان لقّب بـ (عرف النار) وعنوان الغدر والعار فلم يظلم منه شيئا .

مطر وتشبثه بطبيعة الثورة :

كان مطر يحدث كل يوم حدثاً لبقاء دكتاتوريته التى طبيعتها الجور والظلم ولذّته فى الفوضى التى يخلقها لبقاء قدمه ثابتة فى الحكم ، ويتشبث بحبال الشمس طبيعة الثورة وفترة الانتقال ، والناس يقولون فى أنفسهم : أما آن للثورة ان تفطم . أما آن لزمن الارضاع والحضانة أن ينتهى ؟ والى متى ذلك الإبراق والإرعاد ؟ وكل يوم له خطاب ، وكل يوم إزهاق وإرهاق وإسراف وتبذير ولا محاسب ولا مشير ، ونفسه الأمّارة التى هو طوعها تقول له : إعط من داس الإنسانية برجله ، إعط من هم نعتك وهم الذين قدّوا من سيورك :

إعط زيداً ان زيداً تارك دينه اليوم لأجل ما تعز

فيعطى غير ملتفتٍ الى القول : فيا بعد الإسراف والتبذير من حق الشعب ، ويا بعد الخيانة من الأمانة ، ويا بعد السواد من البياض ، ويا بعد الفساد من الصلاح ؟ أما غروره فلسان حاله يقول له : أنت الكلّ فى الكلّ ، ومن عساه أن ينالك ؟ (فيا بعد الأصابع من سهيل ؟) وقد انعقدت فى نفسه عقدة الجبار الى أن ديث[1] بالصغار ومعه عصبته الذين باعوا دينهم وضمائرهم فأجروا ناظرين الى أن ليس لما قرّت به العين ثمن ، وقرّحوا من الاجفان ريّاها ، حتى ذهبوا الى النار وسوء القرار .

كان مطر من سلاحه الدجل ، ومن تدجيله انه سيعيد ما اغتصب من البلاد العربية وفضلاً عن الكويت السليب سيعيد فلسطين وهكذا كان يطلى بالدهان الطين

---

(١) ديث : ذال .

حتى صار يسخر منه البهائم والطيور ، فتلك بطبيعتها تناضل عن ذمارها ، وبعض الطير تموت حمية دون أوكارها ، فهذه البهائم والطيور تصدق ومطر يكذب ويقلب الحق على رأسه ويقتلع البناء من أسّه ، فقاسم وأمثاله كان أحد الأحجار المعترضة لطريق ردّ ما اغتصب ، بل هو بالسرّ مع من غصب، وإلا لأخذ هو ومن على شاكلته بعزائم التشمير وكشفوا عن رؤسهم عار التفريط والتقصير ، وما كان يمنعهم من أن يوحدوا كلمتهم إلا أنهم أبناء يومهم ، وأبناء اذا درّت نياقك فاحتلبها وإلا فهناك رجل هو فلتة من فلتات قرن النصف الثانى من قرن العشرين ذلك هو جمال عبد الناصر الرجل العربى المسلم رجل العرب ولكنه ماذا يعمل ومفسدو الأجهزة أكثر من صالحيها (ولا يد لواحد بعشرة) ؟

أرى الف بانٍ لا يقوم بهادم فكيف ببانٍ خلفه الف هادم ؟

والهدّامون متنوعو الغايات ، فهذا يهدم انزعته الهدامة ، وهذا يهدم جهلاً لحساب النزعة الطائفية ، وآخر يهدم للعنصرية ، وذلك يهدم لتثبيت مركزه إذن فما هو العلاج ؟ العلاج فى قطع أسباب العوائق وها أننا نأمل أن يتحقق ما يصبو اليه العرب الذين لا حجر عثرة فى طريقهم غير الربابنة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فتجتمع كلمتهم ، فهذا اليمن قد اقتحم العقبة ، وسبقته الجزائر التى حررت بطولتها ما تنشد ، وهذا عراقنا قد نحّى الصخرة التى كانت على صدره بفضل الله على أيدى أحرار ١٤ رمضان ، وهذه سوريا قد ازاحت الجهاز الانفصالى ، ولعبة جرّ الحبل فاز بها الفريق الذى على يده ينقذ الشعب الغريق .

مال الشعوب الممتحنة مال من يخاف عليه الغرق :

لأنهم فى سفينة تتلاعب بها الامواج ، ولا يخاف عليها أكثر من الربابنة الذين قصروا النظر على أنفسهم والى ساعتهم ، لأن أمسهم لا يجدون لذته

وغدهم هم منه على خطر وإنما هو يومهم ، ولا يملكون من شعورٍ يحركهم الى ذات الشوكة شوكة العرب والاسلام ، بل انهم بصدد الجمع وتكبير رقم الأرصدة وبشهواتهم فى لهاتهم وبفروجهم وزبرج حياتهم وحيطانهم وجنانهم .

وأين المطبوع من المصنوع ؟ والخالص من الزيف ؟ وأين المخلص الصادق من غاش مغرور منافق ؟ وأين معترف بربه ؟ من ملحد فاسق لم يعترف بذنبه ؟ أين صالح من ثمود ؟ أين صالح من عاقر الناقة ؟

إن أبناء دنياهم أبناء أمهم الجاهلة ، والجاهل يضع الشيء فى غير موضعه وجهل الأم يجعلها لا تعطى أحداً ما يستحق . بل إما أن تزيده كما زادت الدكتاتور مطراً ، أو تنقصه أو تحرمه كبعض المصلحين . والخلاصة ان أبناء يومهم أبناء امّهم ، فالولد فى عرف الفقهاء يتبع الأم الجاهلة والجهل مطر كان يظلم وإلا لذكر الأذان قال تعالى : [فأذن مؤذن أن لعنة الله على الظالمين] ولو سمع مطر الأذان باللعنة لما سار وعصابته على ضلالةٍ صمّاء وجهالة عمياء ولما كان ما نالوا فتنة لهم وفتنة على شعبهم .

الدنيا مياسرة :

قال شكسبير : ان من الناس من ينتصر بالرذيلة . ومنهم من تخذله الفضيلة . ومطر واترابه إنما انتصروا على شعوبهم بالرذيلة ، ولو علموا أن الدنيا مياسرة لم يغشوا دناءة فمن يأت الحكم وحده يفلج ، ولو درى انه كاللاعب بالورق المحظوظ منها ، فعلام إذن كان مطر مغتراً ؟ ولم كان يصرفه الظن بأن دكتاتوريته دائمة له وكيف كان تلعب به خواطره من أن البلاد وأهلها وأموالها وأرواحها ملك صرف وخاصٌّ له ؟ هلاّ ذكر انّ يسره لمن فلج شيء وقتى ؟ لم يفكر لأنه كان يجهل ما مخبوء له فى ١٤ رمضان وظن أن احتكاره واغتصابه ثمرة ١٤ تموز التى أصبح بها هو الياسر وقد

اعدم من اعدم ممن اشتغل بها وسجن من سجن وقعّد من قعّد ممن فلجهم وظن ان هذا دائم له بعد أن اصبحت النار والحديد بيده ووجد له من الاعوان من يخدم طموحه ومن المداهنين والمصانعين من يدهن ويصنع له ، لقد اخطأ ظنه فلم يدر أن هندسة القدر لا يعرف خطوطها ولا زواياها إلا المقدر الذى لا يعجزه شيء فى الارض ولا فى السماء .

المداهن خابط الغى ، وأهل الرشد على قـــدر ما يملكون منه يبحثون ويقدحون ويزنون ويعادلون ويرجحون وبين الرجال يميزون .

لا رشد بدون شورى :

فاذا لم تتمخض الآراء ولم يتناظر أهل الحل والعقد فى الامور كانت نتائج الرشد كالشيء المستلب المنتهب المصادر ، واذا كان كذلك فكيف كان الدكتاتور مطر يستأثر ؟ لا شك انه كان من توسوس له نفسه الجموحة فتقول له : لا يجتمع سيفان فى غمد واحد ، وإنما العاجز من لا يستبعد ، لذلك حسب الشورى عليه غضاضة ، ولم يحسب ان إلحاحه باستبداده وظلمه ربما اهتبله على غرّة كما اهتبله يوم ١٤ رمضان .

إن مطراً الأوحد كان من يسيطر عليه الزهو والإعجاب على الرغم من أخطائه التى يشعر بها ولم يتنزل لأن يتراجع عنها ، فلغروره كان يعتبر خطأه عصمة ما دام معتصما بحصنه ، ولذلك راح يعد ويمنّى ويبذل ويبذر وينثر لمن يلقطون ولم يبال بأن ما يبذّره هو كد يمين الشعب وعرق جبينه ، فكان مما يُنهب تظفر به يد وتخزى يد والظافرة لا شك هى التى (فيها بنات البوائق) وهكذا تكون سياسة الفرد الغاشمة كسياسة مطر (اخادعه ويخادعنى) مع ان الخداع دنية .

لو علم مطر أنه الشمس التى طلعت عليه سنطلع على قبره :

كذباً ما كان ينعته مشايعوه من انه صلب العود عند الحقائق فظهر من

انهيار اعصابه عند ما قارب من اليأس حين وقع فى شرك القدر ما يدل على خوره ، ولو كان مدركاً لمات كريما ولكن هذا الدائب المضيّع كان يهجر بدخوله التاريخ ، وانه سيدخل فى عداد نابليون وبسمبير وهتلر وموسوليني وأمثالهم ممن سبقهم من أكاسرة وقياصرة ، وانه بيده خزانة الدولة كما كانت بأيدى اولئك الخزائن . ولم ينظر ان هؤلاء الأعاظم لم يلبثوا أن طلعت الشمس على قبورهم ، وهم وإن كانوا من عظماء التاريخ إلا أنهم من تتبرأ منهم الانسانية ، واذا كان الأمر كذلك فلم كنت يامطر تتكلم بكلام الأنبياء برثائك للفلاح والعامل وتفتك فتك الجبارين ؟ ولم كنت توافق الحق بالقول وتحاربه بالفعل ؟ ولم تقول بياضاً وتوقع بالآمنين سود الحمر ، ولم يثقل عليك قول الحق ويخفُّ فى نفسك الباطل ؟ ولم اذا صُدقت سخطت واذا كُذِب عليك رضيت ؟ وإن وحّدك منافقوك طرت وإن هُتف لك اهتززت ؟ وكنت فى طليعة من قيل فيهم :

يستيقظون الى نهيق حمارهم وتنام أعينهم عن القرآن

وكان لسان حال عصابتك ومن تعلق بك وبهم يقول عنك مشيداً بذكرك :

بسط الرجاء لنا برغم نوائب كثرت بهن مصارع الآمال

ولم كنت يا مطر تغفر لمن أجرم وتعاقب من أحسن وأخلص ؟ فهل كان الشاعر يعنيك فى مقدمة من يعنيهم بقوله :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

ولم فاتك يامطر أن تذكر (ان الحياة وإن حرصت غرور) ولم فاتك أن تذكر :

كم من كريم قد مناه إلهه بمذمومة الأخلاق واسعة الحر

فقيل له :

تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوماً أو يموت حليلها
تربص بها الأيام علّ صروفها سترمى بها فى جاحم متسعّر

ولم كنت يامطر سيّء السريرة ، ومن أثرها تعميتك الجواب ، ولعلك أنت المعنيّ بقول القائل :

اذا سيل عنه حذا شبهةً وعمّى الجواب على السائلينا

ولم يا مطر (وليس عليك يا مطر السلام) لم كنت تختلق الأسباب على المخلصين لتدينهم وتبرّز مواقف المجرمين الأمر الذى جعلتهم يتمادون فى الإجرام ، فلو كنت شريف النفس لعكست الأمر فطبقت المثل : (العير يضرط والمكواة فى النار) لو فعلت هذا وحكمت عدلاً لما كان من ازهاق أرواح ولا حبال ولا فظائع تتصدع منها الجبال ، ولما كسر المهدمون الباب القائم بينهم وبينك وبين العدل ولخرج الحق من خاصرة الباطل .

كان مطر يتمنّن بالعفو عمن ضربه فى الشارع :

وكان لجهله يتمنّن عمن ضربه فى الشارع الضربة التى قام منها ، والتى نصب سيارته فى فناء حصنه رمزاً للضربة ، والتى من تصميمه أن يقام له تمثال عند المنطقة التى ضرب بها فهل هذا إلا جهلٌ فى جهلٍ ورعونة فى رعونةٍ وجنونٌ فى جنون ؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى انه كان يساوى بين اهدار الحق العام والحق الشخصى ، بينما الحق العام ليس مما يهدر ، ولكن للإعتداء المفرط بذاته كان ينوّه حقه الشخصى على الحق العام ، فيتمنن على من عفا عنهم ممن ضربه .

وبعيدٌ أيها الدكتاتور مطر أن تملك شيئاً من كرم نفس مصعب بن الزبير الذى ترفع أن يقتل ابن جرموز قاتل أبيه به فقال : ليظهر ابن جرموز سالماً وليأخذ عطاءه موفورا ، ونظر مصعب أنّ ابن جرموز ليس من وزن من الزبير فيقتله به ، أما أنت يا مطر فقد أهدرت دماء الألوف من أصحاب الأرواح الطيبة وتتمنن بالعفو عمن ضربك ليخلص الناس من ظلمك الفرعونى النيرونى لأنك من الناس الذين يقول الله عنهم (ومن الناس من يعجبك قوله

فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألدّ الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) وكمثل الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) فأنت يا مطر من أخلد الى أرض الحرمان وما نفعك إن صعدت وحلقت وارتفعت إذ كان فى صعودك الهبوط وفى ارتفاعك السقوط :

وساعدتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وظننت قبضك على ناصية البلاد توفيقاً ولم تدر أنه نصيب ، وادعيت كذباً أن الذى نلته إنما هو بساعدك الأشد ورأيك الاسد وانك مفجر ثورة ١٤ تموز والحال انك جئتها مبرّدة (ورب ساعٍ لقاعد) ومع كل هذا كان كلك ظلماً وولعت بحب الظهور والشهرة ، ولو كنت موفقاً لما كنت تغالى فى طلبها ما دمت غير سبّاح ، فإن الغرقى الذين بينهم غريق سابح ضعيف فالاولى به أن لا يعرف لئلا يتعلق به غرقى فيهلك ويهلكوا معه ، بخلاف السبّاح القوى فيتخلص هو ويخلص غيره من الغرق . وعلى هذا يجب أن يكون العلماء والأمراء ودهاة الناس وأنت يا مطر من السباحين ولكن بالإغراق فقد أغرقت العراق الى أن ثار بوجهك السباحون الاحرار فى ١٤ رمضان فأنقذوا العراق الغريق بظلمك ، فقد كانت شهرتك باجتوائك الحق واشترائك الباطل ، وبنكبتك من يخلص للشعب وبطلبك النصر بالجور وكل ذلك مما لا يخفى على القريب والبعيد .

إن مطراً لم يكن يصغى لرأى ناصح مع وجود العلاقة بين الناصح والمنصوح لم يصغ لأنه يرى نفسه الاول والآخر ، ومطر لو كان عاقلاً لعجن الناس وحلب أشطرهم ، ولم يأمن القلوب التى اضغنها عليه ، فمن الناس من هم الحجر الذى يقتل به ، وان ظن أن ليس هناك غير كليل الشفرة قريب القعر ، وكان خيراً له من إدناء من أدناهم حتى جعلهم فى كفه كان خيراً له من ذلك جمع القلوب بإقامة العدل والإحسان بدلاً من تأليب هؤلاء المفسدين

على الكفوئين والمخلصين وكان خيراً له من اعتباره الشعب ذبابا وهو وزمرته دئابا خيراً له اللطف واللين على الآمنين ومعاقبة المخرّبين الهدّامين .

لكن مطراً كان طويل اللسان قصير الرأى لا يعرف معنىً للرحمة وإلا لما سرّ باهراق محجمة ، ومطر كان فخوراً بالثرثرة والجرجرة وإلا لما كان لكل يوم خطاب ولو درى أن الدهاء إنما هو بتقليب الأمور والتجربة الطويلة وتحنيك الحوادث، ومن تخيّل بشعرة بعيدٌ عن ذلك ولو درى لقصّر من ثيابه .

ولعلك يا مطر إنما كنت تفرط فى صرامتك لتخرج من الخمول على أن الخمول أخو العدم والشهرة أخت الكون ولذلك رحت ترى نفسك الزعيم الاوحد الاروع ولم يعن الشاعر غيرك بقوله :

وهى الرئاسة لا تبوح بسرّها إلاّ لا روع لا يباع ذماره
يحمى حماه قلبه ولسانه وتذود عنه يمينه ويساره

فيقول لك الشعب الصبور يا مطر ان الذى يحمى شعبه من يغيثه لا من يستغيث من ظلمه أربع سنين ونصف سنة ذاق فيها المرّ . ان الذى يحمى الحمى من لم يسلس القياد لتقع واقعة الموصل وكركوك وما وقع فى سائر البقاع ، ان الذى يحمى الحمى من تعين يده يداخى شعبه من أن تنتابه النوائب ويحوطه بما امكن ويكون (كأب حنبل) أجار من الناس رجل الجراد ، يجير شقيق شعبه وإلا فلا خير فيمن لا تسند إحدى يديه الأخرى ، وهيهات أن يكون ذلك من مطر (إذ لا يكشف الغماء إلا ابن حرة) لا يكشف الغماء من أشغلته نفسه كيف يطير ؟ حتى طار ولكن طيران النملة التى لو أراد الله لها صلاحا لما انبت لها جناحا فقد انبت الله لمطر جناحاً فطار بهما فأوقعاه فى الهلاك وما اغناه حب الشهرة وجنون العظمة ، بل غطّى جنونه عليه أن يتأمل قول (كارلتون) الشهرة إحدى الفقاقيع التى تنفجر عندما ينفخها صاحبها . ولم يوفق مطر أن يسمع قول (هولمز) : انكار الذات فضيلة

نادرة يبشّر بها الرجال ، وتمارسها النساء . وأين مطر من انكار الذات وهو يتحلم بالعظمة وكيف يكون فى مصاف عظماء التاريخ ؟ وهذا الوسواس فى مطر هو الذى جعله يهرق كل يوم محاجم دم فبغضته القلوب ولا بغضها للخنزير الأمر الذى جعله من الناس فى بينونة عزلة ، لأن شعبه صار كغنم عشت فى نواحيها الذئاب ، وما الذى عسى أن يفعله الأعزل (اذا عظم المطلوب قلّ المساعد) حتى انتهى الأمر بمطلع ١٤ رمضان .

كان مطر الرتكانور كذاباً :

كان كذاباً مرائياً حسوداً ، مباغضاً ، غير مبال بأن الناس لا يأخذون عمن عرف بالكذب وإنما يأخذون عمن شرفت أنفسهم لأن أهل الشرف لا يكذبون ، وأول ما يجرف الكذب عظمة المتعاظم :

وعضّ جيفة كلب خير رائحة من كذبة المرء فى جدّ وفى لعب

هذا عمر بن معد يكرب على شجاعته ذهب كذبه بشهرته ، وهذا المهلب ابن أبى صفرة على مجده وشجاعته وحسبه وكرمه وكرم أسرته سجل التاريخ عليه ما ذهب بمزاياه ، وهيهات أن يكون لمطر حظ من أدب النفس وهو (يريك الهوينا والأمور تطير) ، وهيهات أن ينتفع أعوان الاوحد الاصاغر بأدب النفس وبقول المتنبي :

وما قلت للبدر أنت اللجين ولا قلت للشمس أنت الذهب
فيقلق منه البعيد الاناة ويغضب منه البطيء الغضب

وإنما أعوانه الاوباش كانوا ينضمون الى الغوغاء ويجمعون أيديهم للتصفيق وقد دهنوا حناجرهم للجهر بالاوحد .

كثرة ما قاله يخطب مطر :

كان مطر غبياً من حيث هذه الناحية ومتشيطنا من ناحية أخرى ، ومجنونا من نواحى ، ومن غباوته انه كان يظن بنفسه انه البليغ الفصيح بينما كان

تفاصحه بعيداً عن الفصاحة ، فضلاً عن انه كان من البلاغة صفراً ، وأين هو منها والبلاغة باصابة المعنى والقصد الى الحجة ، والفصاحة لا بالسلاطة والهذر والبلاغة لا بالمتناقضات التى كل منها كاسر مكسور، ولا خير فى المتكلم يكون كلامه لمن يشهده دون نفسه ، ومهما يكن من أمر مطر فيما يتكلم لا يخرج عن الصنف الذين قال فيهم الرسول ص (يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الارض البقر بألسنتها) ومن كلام الاسكندر « حسن الخُطبة على حسب طاقة السامع لا على حسب طاقة الخاطب ، وهذا هو معنى (رعاية مقتضى الحال) .

والدكتاتور مطر الذى جننه خلوُّ الجو له صار يدفعه جنونه لأن يهذر ويثرثر ظناً منه أن لا نطوح له فراح يبيض ويصفر ويتشدق ويظن ان الناس سيقولون ان اكثاره من دلائل قدرته على الكلام وفراسته فى الميدان ولم يدر انه اذا تم العقل نقص الكلام ، ورب كلمة تقول لصاحبها دعنى ، ورب سكوت شعب صدعا .

واغترار الدكتاتور مطر فى اجتماع الناس حوله كان يزيد فى تيهه ، ولم يدر ان اجتماعهم للاحتفاء به واستماع درره وغرره ربما جاء يوم يجتمع الناس عليه ويتدافعون بالمناكب ليشاهدوا جثته وجثة امنائه هامدة جزاءً وفاقا .

إن اجتماع الناس حوله لو ادرك ليس معناه اجتماع القلوب له . فينقل لنا التاريخ ان أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً على علىّ بن أبى طالب من الشهر الذى قتل فيه . هذا المثالى العظيم الحكيم هو من كان يعظ أمثال الدكتاتور مطر بقوله : (كفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره ، وان من ابغض الرجال الى الله لعبداً وكله الله الى نفسه جائراً عن قصد السبيل ، سائراً بغير دليل .

اقرر ركب مطر ما لا يركب ؟

فجهل قدره ، فجار عن قصد السبيل وسار بغير دليل وركب رأسه وغاب

عنه أن يذكر أن لكل دم ثائراً ، ولكل حق طالباً ، وركب ما لا يركب فكان كمن خلعت ركوبته عنه زمامها فعثر فى فضل خطامها فأقعى على ركبتيه وهكذا تكون نهاية من اذا اريد رتق جورٍ فتقه ، ولا غرابة أن يصدر هذا من أهل خمور وماخور ومزمار وطنبور ، وإن ذكر لم يتذكر أو اريد تقويمه الى الحق أدبر وهاج وزمجر ، وهكذا تكون نهاية من جعل الحصيل فى الشبهات والمغانم فى المغارم واباحة المحارم واصطلح هو وشطّاره على الفجور وصيّروا الناس طعمة لهم كالفريسة للذئاب وصار الفسوق لهم نسبا وقرّبوا فساق الحمر حتى بلغ الأمر الى التعجب من العفاف ، وتحدّوا الأحكام الاسلامية . ولئن قلت لهم : يا أهل الشهوات ليس شىء من لذاتكم المحرمة العاجلة التى نلتموها بالخسارة إلا نالها أهل المروءة والصيانة بمروءآتهم وصياناتهم لاشتريتم العفة بستر الله ، لئن قلت لهم هذا سخروا منك لأنهم من انطووا على ما انطووا عليه من اللا حيآء واللا شرف . وسبحان من صيّر الحمراء والخضراء منافيتة كما يدّعون . ولكن الزمن الذى مدّ لهم انكفأ عليهم على أيدى أحرارٍ هجّير الواحد منهم :

ولو نلت فى نيل المنى الف موتة لقلت اذا ما متُّ لست ابالى

فقدس الله شهداء ١٤ رمضان وأسعد أحياءهم اولئك الذين أحيوا البلاد بعد موتها ، وهزموا أهل الجور هزيمة لا يغسلون رؤسهم منها وحصدوا أعمالهم لا رحمهم الله خزياً وعارا .

تبزير مطر غزيرة الشعب :

كان يسرف ويبذر فى مجال ترسيخ قدمه . إضرب يا قارئ بطرفك أيام هذا الذى جنّنه التسلّط فلا ترى الخير إلا مدبرا ولا الشر إلا مقبلا ، إضرب بطرفك حيث شئت هل ترى إلا فقيراً يكابد فقراً وإلا غنياً بدّل نعمة الله كفراً ، هل تسمع إلا أن أخا مطر حامداً قد صار فيما اقتنى وجمع

قارون بفضل أخيه الذى روحه من روح نيرون ، وقد أتعب الشعب وحرمه من أن تلمع فيه لامعة العدل ، هذا الطاغى الباغى المائق المارق الذى قطع الناس عن مراجعته فى حاجاتهم وقد فات فى تبذيره أموال الشعب لويس السادس عشر وزوجته انطوانيت ، وهباته يتضاءل دونها ما كان يهبه بعض متسلطى الأمويين والعباسيين وما كانوا يجيزون به مادحيهم من الشعراء بعشرات الالوف ، هـــذه زبيدة تحشى فم الشاعر سلّم الخاسر بدرر باعها بعشرين الفا مقابل مدحه ابنها الأمين ببيت واحد من الشعر .

والدكتاتور مطر كان يعطى ويعطى ولكن لمن ؟ لمن لا يستحق قشر بصلة ، وكأن هذا المال ورثه من أبيه ، أو احرزه مطر بكد يمينه ، وتبذيره هذا الذى هو سيئة من سيئآته أحد الأسباب التى جعلت الناس ترقص سروراً يوم سمعوا بأنه قد قضى عليه ، وللباطل جولة وللحق دولة .

لو كان مطر موهوباً لكان النظام :

لا يمدح مطراً إلا اللئام ولا يثنى عليه إلا الأشرار ، ولم يألفه إلا من ألف المنكر اولئك الأشرار الذين جعلهم ترسه استنتاجاً من عجز بيت للشاعر : (فإن تأبت فبالأشرار تنقاد) ولو كان موهوبا لكان هو النظام من الخرز يجمعه ويضمه فاذا انقطع النظام تفرّق الخرز ثم لم يجتمع بحذافيره ، وأين هو من أن يكون النظام وهو أعجز من أن ينظم أربع خرز ولم تكن له كفاءة أن يرعى ثلاث شياه لذلك لم ير لتثبيت قدمه مثبتا عير أن يفرّق ويبدّد ويسرف ويزهق ويرهق على أيدى أوباشه ومن قدّوا من أديمه ، بعكس الذى يصح أن يكون مكان النظام كعبد الناصر الذى يشعر عن يقين أن العرب كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع وإنما تستدار الرحا بالإسلام .

وكيف يؤمل من مطر أن يرى اجتماع العرب والإسلام وهو ليس فيه أخفى من بغضه للعرب ولا أحقد منه على الاسلام ، وليس له عمل يخرج

عن هدف لشخصه . وهذا ما كان يجعله ملاوذاً ، وإلا لكان كناصر الذى لما ادرك ان الحق محبوسٌ فى كلٍ من الكتلتين الشرقية والغربية تجده لم يزد فى مناسبته معهما على (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) .

أما مطر فقد كان يهجر السبب ويصل غير الرحم واتكل على من ليس من ولائج العرب والاسلام ، وحاول أن ينقل البناء عن رصّ اصله الى غير موضعه وعن غير أهله وضرب فى عمرة الضلال وساح فى الحيرة لأن الامور لم تستجب له فغاضت لديه الحكمة ونطقت به الظلمة وفلّ ما عقد عليه حبل الجماعة وهدّم ما تبنى عليه الطاعة حتى آل به الأمر الى الحفرة .

من يحوا فى سوء مطر :

هؤلاء الذين أمنوا مكر الزمن لو كانوا على الأقل كابن اللبون ليس ظهراً فيركب ولا ضرعاً فيحلب لكان أنجى لهم ، وماذا أفادهم ما حصلوا عليه من جاه وجمعوه من حطام اشتروه بضمائرهم ؟ لكنهم عمى البصيرة كما أن سيدهم مطرا (أعمى النهار) .

الدكتاتور مطر لم شبه بالخفاش :

لمطر شبه بالخفاش من ناحيتين : كثرة ما يفرز من أقذار وعدم خروجه فى النهار ان بصر الدكتاتور محصور فى الظلام ، ولا يستطيع أن يبصر فى النور للعلّة الطبيعية فيه كما فى الخفافيش وهى انفعال حاسة بصرها عن الضوء الشديد كما يعرض لمثل مطر وهذا المرض هو الذى يسمى صاحبه (أعمى النهار) ويكون ذلك عن افراط التحلّل فى الروح النورى ، وجملة الأمر أنه تعجبٌ من عجيب ، وهو أن رجلاً واتته الظروف فلم عدل عن البصر الى العمى ؟ فالخفاش وضعوا عن لسان حاله أنه لمّا قيل له : لم لا تخرج نهاراً ؟ قال : حياءً من الطيور لأنه تصوير مخلوقٍ يعنى عيسى (ع) إذ خلقه بإذن

الله ، أما لماذا الدكتاتور مطر لا يخرج نهاراً ؟ أحياءً من أصحاب ماركس ولنين ؟ فهو والماركسيون مخلوق الله ولكنهم خالفوا الفطرة الإنسانية ، وركضوا وراء الكواسر الغابيّة .

والصحيح أن مطراً لم يخرج إلاّ والعيون نائمة لأنه مطلوبٌ والمطلوب لا ينام لعلمه أن الطالب لا ينام :

لا تأمننّ الدهر حرّاً ظلمته فما ليلُ مظلومٍ عليك بنائم

ومع كل يقظته منذ ضربته فهو أعمى (ولا يرى الشمس أعمى ضرير) فقد أدركه الطالب الذى لا ينام ومهما حاول التفلت عاد خاسئاً حتى صار فى القبضة .

كان هذا الذى يكذب أهله . والذى هو يقظان نائم قد اتخذ من سحره التسويف بالسّين وسوف ، ولم يدر أن الناس يقرؤن لوح ما يسرّه فى نفسه ، وكان من لم يطب غرسه لخبث سقيه ، يتطلّع ويطمح لأكثر مما نال ، والحال انه ليس بأهل لأقل منصب حتى انقطع دلوه ، لأنه ورد الشريعة وتعذّر عليه الصدور ، فكان من وروده كالكلب الذى ورد الماء وفى فمه رغيف فرأى ظلّ الرغيف فى الماء فانغمس فى الماء ليأخذه فذهب الرغيف الذى فى فمه ورجع خاسراً ، وكذلك مطر حدا الابل ولكنه عسف بسياقته ، ونصر مذهباً كان فى ذلك فتنة الناس ، وأسهر عيوناً وأتعب قلوباً ، ودنّس أعراضاً واتخذ عصابات تمدّه فى الغى ويمدهم بالمال والسلاح ونصبهم للإجرام ، واستمد الآراء من أقطاب المذهب الهدّام ، وتحلل من إهراق الدماء ولا رصد على ضميره ولا رقيب ، وكان ظهيراً للمجرمين ، وأخاف البريئين نقداً وجوز لسياسته أن تكون مكراً وأفرط فى حب ذاته لدرجة الجنون وفرّط فى صالح المجموع وألغى قانون الحياء ، وأرسل فى غير سدد وتكلم فى غير صواب وضحك بما أبكى العيون وأجرى من العيون عيونا وجرّ القلوب ، ورفع المستر لحدٍ انقلب عجب الناس الى لا عجب .

تملك العجب مطراً متى كان كالطاووس

لقد كان العجب من تأثيره به ان جعله كالطاووس يزهى بنفسه ويتيه وقد بهره النظر الى ألوانه المختلفة ، ولكن كما زعموا أن الطاووس إذا نظر الى ساقيه وجم وانكسر نشاطه وزهوه فصاح صياح العويل لحزنه لما يرى من دقة ساقيه ونتوء عرقوبيه ، أما هذا التيّاه مطر فدأبه تغطية قنازعه ، وستر عورته بما يدجّل ، ويأبى الله إلا كشفها ، ولم يُجده دعاية من قدّوا من اديمه بأن أعلاه من عنبر وأوسطه من كافور وأسفله من مسك ، لعلم الناس أن دعاته حمأة فاسدة والحمأة الفاسدة تقوى بمثلها .

لقب نفسه بابن الشعب والشعب يقول ليته نجا من ذعذعته وعصابته ، ولعل قول الرسول ص (ويل العرب من شرٍ قد اقترب) كأنه يرمز الى ما أحدثه مثل هذا ومن روحه من روحهم ، أولئك الذين لم يعترفوا بأن حرمة الشعب من أعظم الحرمات ، وحرمته هى : دمه ، وعرضه ، وماله ، وكيف يقيم مطرٌ حرمةً للشعب ، وهو من حل بالمكر والغش والخدع معاقده وانتهك محارمه ؟ إنما يقيم للشعب حرمة من يعتقد أنه مسؤل حتى عن البقاع لم استوطنتهم هذه وزهدتم هذه ، ولم أخربتم هذه وعمرتم هذه ؟ ومسؤل حتى عن البهائم لم ضربتها لم أوجعتها لم حملتها ما لا تطيق ؟ والمسؤل من يحاسب نفسه ويسمع قول الرسول سماع قبول (دخلت النار امرأة فى هرّةٍ حبستها) وكيف يرى نفسه مسؤلاً من لم يمسك الأمر ما استمسك ، بل كلما كادت أن تخمد فتنة جدّدها بأخرى ، فضلاً عن سوق شعبه الى المعاطش والمجادب ، ويفعل ذلك لأنه مشلول الوجدان معطوب الضمير ، بل لا ضمير له .

كان مطر من غرر به الغرور

كان يرى الناس لغروره غنماً تعلف للمدى ، ولكن الغنم لا تدرى ما

يراد بها ، وأحرار الشعب يعرفون ما يريد هذا الطاغية بهم ، لأنهم عرفوه انه من لم يشم رائحة من الإنسانية ولم يحفظ حرفاً من حروف الحق ولم يحفظ حداً من حدوده ، لأن قلبه من وراء لسانه وأنه من هزّع أخلاق المجتمع ، وتحدّى الشريعة الإسلامية ، وعارض أدلة نصوصها فكان هذا الطائش يفتش عما يعثر به لحمقه الى أن أقبره ذنبه غير نقيٍ من دماء الناس وأعراضهم وأموالهم ، ومن تجاوزه على الشريعة ما فرضه من قانون الأحوال الشخصية ولم يبال بأن ظلم الشريعة ليس مما يترك .

لقد طوح بمطر ضياره

قد يتسائل متسائل فيقول لماذا كان هذا الطاغية يتنكب الصراط المستقيم ويركب المعوّج فماذا سيكون الجواب ؟ الجواب الأول : خبث معدنه واستعداده للشر الثانى : لعله يقول فى نفسه :

قليل الهم لا ولد يموت وليس بخائف أمراً يفوت

وهذا التعليل عليلٌ بدليل انهياره حين وقع فى القبضة . الثالث : إن كثرة ما اجرم جعله يعتقد أنه كجدار مائلٍ ولابد من تداعيه ، وهذا أيضاً غير وجيهٍ . فقد كان بامكانه أن يغسل رأسه بماء التوبة فيحسن سيرته ويجعل الحكم استشارياً بعد وضع الدستور الدائم وينحى المفسدين ، ويستبدلهم بصالحين . الرابع : انه لما ضيّع أول الأمر ولم يمكنه التلافى اعتبر البلاد خضرةً يستثمرها هو وأخوه الأمير فاذا ما حزبه أمر ركب متن الفضاء وذهب كفاروق وأمثاله . أما لم كان يتلذذ بفعل الشر ؟ فليس له جواب غير أنه من الشر ، والشيء من معدنه لا يستغرب .

من خبث تراب معدنه لا ينتفع بحكمة :

كان مطرما ركب ظهراً إلا أدبره ، وإن جاد فعلى من هو صفته وصورةٌ

لمعناه وظلّ لشبحه ولسانٌ عنه ، وهؤلاء هم الفلّ الذين استفلّهم الشيطان فاستزلهم كما قال حسان :

وإنّ التى بالجذع من بطن نخلةٍ ومن دانها فلّ من الخير معزل

واعجباً لهؤلاء الفلّ المغترين وقد خلت من قبلهم المثلات ، وما أغنى عنهم ما كانوا به يمتعون من جنان وحيطان وأنهار وأشجار ويانع الأثمار .

قعد النعمان بن المنذر ومعه عدى بن زيد فى ظل شجرات مونقات يشرب فقال عدى (وأراد أن يعظه) : أتدرى ما تقول هـذه الشجرات ؟ قال ما تقول ؟ قال تقول :

رب ركبٍ قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال

ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

فهلاّ اتعظ مطر ومن على شاكلة مطر بمن مضى وغبر وبمن غاب وحضر ، أم ضرب على آذانهم أن يسمعوا ، وعلى قلوبهم أن يعوا ، لأنهم من على الشر قد انطبعوا ، ولو كانوا ممن تعمل فيهم الحكمة لسمعوا ، (وإنما يستجيب الذين يسمعون) فالحكمة :

هى تجرى مجرى الإصالة فى الرأ ى ومجرى الأرواح فى الأجسام

وأنى للحكمة أن بمن أظهر الفسق على الصلاح والجور على العدل أنى ، للحكمة فيمن غرّبوا الاسلام وصاروا كما يقول علىٌ ﴿ع﴾ : (كالبعير يضرب الارض بأصل ذنبه ويلصق صدره فى الارض فلا تصرّف له ولا نهوض) .

أجل لقـد أدبر من دنيا العرب والمسلمين ما كان مقبلا ، فأصبحت الاقطار العربية مستوسقات لم يجدن سائقا ، لأن سواقها (إلا من استثنى) صاروا يحملون على غير المنهاج ، فمن يوقف هذه المستوسقات على الطريق والسواق ابتلوا بداء الهوى ؟ فأوهٍ ثم اوهٍ على المهديين الهادين . والآن قد انفتح باب الأمل لأن تجد المستوسقات سواقاً إن شاء الله لأن الوحدة الثلاثية قد تحققت وهذا أول المطر .

المبتلى ببراء الهوى لا يقدر أحد أن يقول له : اتق الله :

قال رجل لعمر بن الخطاب : إتق الله ، فقال رجل كان حاضراً : أتألتَ أمير المؤمنين (أى انتقصت) فقال عمر دعه فلا خير فيهم اذا لم يقولوها ، ولا خير لنا اذا لم تُقل لنا .

أما الدكتاتور مطر فمن كان يقدر أن يقول له : اذكرك فى الله ؟ وماذا يتوقع القائل غير خذوه فغلّوه) وأين مطر وأمثال مطر من قول القائل :

وقد صبرت عن لذة العيش أنفسٌ وما صبرت عن لذة النهى والأمر

أين هذا القول من حُطمة أصحاب النهى والأمر وهى تحطّم من يذكّر فضلاً عمن ينهى ويأمر . فمن يذكّر كان يقول له جلاوزة مطر : صهٍ واخساً فلا فكاك لرقبتك وقد اغلقت رهائنك ولا يخمد حسيس النار التى وكّلت بأن تأكلك . وإن جعتَ حتى مصصتَ النوى ومشيت حتى انتعلتَ الدم وحتى خرج من قدمك البحص واللحم وحتى صرت نضو الهزال لأنك وأمثالك منزول بكم كقوم عاد وثمود والذين من بعدهم ، وعلقت بكم أم اللئيم الحيزبون . فان قال قائل : نعر الباطل . اجيب : بل أنتم فى الفتنة نجم طلع بلا شرف ولا قدم بل نبتتم كما ينبت قرن الماعز . أما أهل السلطان فيرون أنفسهم نجماً نجَمَ كنجوم الكواكب من تحت الغمام ، أو نجوم نور الربيع من الاكام ، وهكذا يكون من لا يستحى من الجبار .

من لا يستحى يفعل ما يشاء

الحياء انقباض النفس عن القبائح ، ويختص الحياء بالإنسان ، ولا يكون المستحى فاسقاً لتنافى اجتماع العفة والفسق ، أما القحة فهى انسلاخ من الانسانية ، ومن يُستحى منهم ثلاثٌ : الله ، والناس ، ونفس المستحى ، ومن لم يستح من نفسه فنفسه عنده أخسّ من غيره ، وكان الدكتاتور مطر لا يستحى من الله ولا من الناس ، ونفسه لا شك أخس الأنفس ومثله

زمرته أولئك الذين هم أهـــل المسخ والفسخ والوسخ ، أولئك الذين لا يستحون إن كـذبوا أو لفقوا أو خرّبوا أو أهدروا الأرواح أو أباحوا المحرمات ، واسأل عن ذلك مجونهم إسئل الكاس والطاس والمراقص والراقصات العاريات . اسئل منهج التلفزيون وما كـان يعرض فيه من فصول اللاحياء واللاشرف ، اسئل المجتمعات التى يختلط بها الجنسان .

فأين مطر وعصابته الذين كـانوا خلعوا جلباب الحياء من صالحى أولى الأمر الذين من صفات الواحد منهم أنه :

يتجنب الآثام ثم يخافهـا فكأنما حسناته آثام

وفى عين الوقت بحق يقال فيه :

حتى إذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما

هؤلاء الذين هم فى بيوتهم من الحياء سقماء ، وفى دفاعهم عن محارمهم شجعان زعماء علماء ، وهم أشد الناس لله خوفاً واتمهم عقلاً وأحسنهم رأياً ونظرا أين هؤلاء ممن :

يستصغر الخطر الكبير لنفسه ويظن دجلةَ ليس تروى شاربا

ويكذبون وبكذبهم يفتخرون ويدّعون انهم انجزوا منجزات بينما ما يدّعونه بالخيال أشبه وبالهواء أمثل ، ويرون واقع قبائحهم حسنات ووهميات حسناتهم معجزات وانهم من بين الرجالات كـالشجرة الخضراء فى الهشيم بينما أحق بذلك من أصبح فى دهائه وعلو همته وحسن نيته وعفته لا يخفى على صبيان العالم ذلك هو جمال . أين أولئك المجرمون والذين يقولون ما لا يفعلون ممن يفعل قبل أن يقول ؟

واراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق اللسان يقول ما لا يفعل

هذا الذى يفعل ما يقول هو من لا يستفزه الغضب ولا تحركه الخطوب الطارقة ، وان رضى لم يدخله رضاه فى باطل وان غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ويعترف بالحق قبل أن يشهد عليه وبالخطأ دون أن يذكّر فيه :

ولست تراه شامتـاً بمصيبة ولا جزعا من طارقِ الحدثان

وان بغى عليه صبر وحلم مقدّراً ان الانفس من حيث العزائم آلات . والآلات مختلفة فما يحفر بها الحجر ليست كـالتى بها يحفر الطين .

وأين من هذا الرجل الذين يمشون الخفاء فى الخفاء ، ووصفهم داء وفعلهم الداء العياء ، وعملهم عمل الفاسقين ، إن عذلوا كشفوا وان حكموا اسرفوا يقيمون الباطل فى معارضة الحق ، والشبهة فى مصادمة الحجة ، قد جعلوا لـكل باب مفتاحا وبذلك اقاموا اسواقهم لإنفاق سلعة سياستهم ، ويموهون لحدّ يطلون الحديد بالذهب ، ويدّعون انهم الحُماة بينما هم الحمّى والحمـــة ، وهكذا يكون من أصغى الى نفسه الأمارة فيسىء النقد ويعظم الخِطبة ويمنّ على الناس بما يسىء ، ولا يبالى ، مع ان الحوض قد امتلأ وقال : قطنى ، أجل امتلأ الحوض بمطر بالدم ، وقال قطنى : إن من المؤسف أن ينـكر بعض من يحكمون بالهوى فضل رجلٍ هو فى طليعة رجال العرب والذى هو كما يقول ابن دريد :

ومنه ما تقتحم العين فان ذقتَ جناه كان عذباً فى اللها

اذا استثنينا هذا الرجل وجدنا بعض الحكام متشابهين فى اجحافهم برعاياهم وفى الجور وكـثرة الادغال فى الدين وترك محاج السنن والحـكم بالهوى وكثرة علل النفوس وإذلال الابرار وإعزاز مشايعيهم من الاشرار ، وإن قال هؤلاء الحـكام نعم قالت الرعايا لا ، ولا سمع ولا طاعة ، واذا لم تـكن طاعة فلا جماعة ولا مناعة بحكام الساعة ، ولو كان الحكام حكماء لم يفتهم أن يدركوا انهم إن عاملوا رعاياهم بالحزق لا يؤمن أن تـكاشف حتى يعود نفاقها شقاقا ورذاذها سيلاً بعاقا فان غلبت فهو الدمار وإن غُلبت فلا افتخار ولم يدرك بقهرها ثار ، والاحرار متى قدروا أن يقولوا قدروا أن يصولوا وأيدى الرعية تبع ألسنتها ولم يملك ولىُّ الأمر ألسنتها حتى يملك قلوبها ولن تحبّه قلوبها حتى يعدل . فهل غاب عن مطر واشباهه الحكمة ؟ ولم ضيعوا أول الأمر

وآخره . ومن العدل معاقبة السفلة الذين تدعوهم صغار الجرائم الى ارتكاب العظائم ، ألا يرى ان أول نشوز المرأة كلمة سومحت بها ، وأول حران للدابة حيدة سوعدت عليها وأول اليأس من الشفاء مخالفة الطبيب ؟

وخير اولياء الامور من اشرب قلبه حبّ رعيته ، ولن ينال هيبتهم له حتى يكرم شريفها ويرحم ضعيفها ويغيث لهيفها ويكفّ عدوان عدوّها ويؤمن سبل غدوّها ورواحها . ومما يجرّ الى ولىّ الأمر سوء العاقبة عليه تأميره شهواته على عقله كمطر الذى لم يبق ولم يذر .

حب ولىّ الأمر الفخر من أسخف الحالات :

من كلام لأمير المؤمنين علىّ «ع» : (من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظن بهم حب الفخر ، وقد كرهت أن يكون جال فى ظنكم انى احبّ الإطراء واستماع الثناء فلا تثنوا علىّ بجميل لإخراج نفسى الى الله واليكم من حقوق لم افرغ من أدائها وفرائض لابد من أدائها وامضائها ، فلا تكلمونى بما تكلم به الجبابرة ، ولا تخالطونى بالمصانعة ، ولا تظنوا بى استثقالاً فى حق قيل لى . ولا التماس إعظام لنفسى ، فان من استثقل الحق ان يقال له أو العدل ان يعرض كان العمل بهما اثقل عليه ، فلا تكفّوا عن مقالٍ بحقٍ أو مشورةٍ) الخ ما قال .

اقول : قدّس الله هذه الروح ، وخسرت صفقة ولىّ أمر لم يضع اقدامه إثر اقدام هذا الزاكى . وتبّث يدا من يريد ان يحمد بما لم يفعل ، ولا رحم الله من هو كمطر الذى كان يأمر بنصب التماثيل له ، وبتعليق تصاويره فى كل مكان ، وكأنه يقول للناس اعبدونى ، وسخر دعاة السوء الواطئين الغوغاء المصفّقين الهاتفين بالزور .

وبهذا غلظت المصانعة وعظم النفاق واختفت الحقيقة وطمس الحق وراج التمويه ، وتخيلته النفوس المنحطة انه من السباع ، وان فى كل حركة له بركة .

لكن مطراً لم يدر ما هو معدٌّ له ، ولم يحسب ان من نجمت طوارق نفسه أفلت شوارق أنسه . أما المنافقون فنشيدهم له :

فتى لا ينام على عزمـــه ومن صميم العزم لم يرقد

وقد وصفوه بالأوحد ومن لا يحفل بالرواجف ، ولم يكترث بالزلازل ، ولم يأذن للقواصف ، وكل ذلك مصانعة ، وقد كذّبهم الزمن فقد وقع فى الفخ وما اغنى عنه حصنه ولا برجه المشيد وما احكم من بيوت النار والمخابئ والأقباء والسراديب ، ولابدع (فعند صفو الليالى يحدث الكدر) ولو درى أن الله لايغالَبُ . وانه إن ساعد القدر مكّن عصفوراً من أن يصطاد كركيّاً ، فكيف اذا كان هناك اشاوس لم يناموا وانهم يرون الشعب يضام ويظلمه من لا عهد له ولا ذمام يساعده عصابته اللئام ، ولو كان مدركاً لتخلى عن منصبه ، لأن طلابه غير واحد فماذا ينتظر ؟

حكى ان علىّ بن عيسى الوزير ركب فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون : من هذا من هذا . ؟ فقالت امرأة قائمة على السطح الى متى تقولون من هذا . من هذا ؟ هذا عبدٌ سقط من عين الله فابتلاه بما ترون ، فسمع علىٌّ بن عيسى كلامها فرجع الى منزله ولم يزل يتوصل فى الإستقالة حتى أعفى ، أما الآن فان شئت أن تقول فقل ولا حرج :

اتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حرّ

اللهم باستثناء الأحرار الذين منهم مخلّصو الشعب من مطر الدكتاتور فى ١٤ رمضان وأقول ماذا كانت تقول الامرأة التى كانت قائمة على السطح لو رأت الدكتاتور مطراً وابهّته وزهوه وتيهه ؟ مطر الذى كان تدميره فى تدبيره واغتياله فى احتياله وهلكته فى حركته ، مطر الذى ظلّ يهجر لافظا وضل خابطا ، وخاض الباطل خوضا ، وأخذ الولى بالولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر ، ووعّر المسالك وعطّل الحدود المؤكدة وركن الى الاهواء ونكث الوثائق التى هى لله طلبة وعلى عباده حجة ونبذ الإسلام وضيّع

الاحكام وطمس الاعلام ولم يكترث بأن ظلم الضعيف الخش الظلم ، ووقاحة يقول للعدل لا تبعد وهو وعصابته يدفنونه ، ويسمونَ شجرتهم الخبيثة الشجرة الطيبة ، وأعدموا من يذبّ عن محرابه وغدروا بالآمنين وأخذوا على غرةٍ البريئين وسموا اسقاط البشر وحثالتهم مناضلين وواسع البلعوم الذى جمع فأوعى أميراً ، وسمى مطر نفسه زعيماً ولقبه الحثالات بالاوحد وسموا أراذلهم سادات وصاحب مجونهم وفجورهم تقدّمياً ومخنثهم صاحب ذوق والمتدين رجعياً ومن يقيم الفريضة ضعيف عقل والمتصلب فى دينه جامداً وسموا ذآبهم حراساً وسباع غيرهم جبناء وهكذا هم بهواهم النتن .

السياسة فى مذهبهم :

وقد جوزوا لسياستهم أن تُرى الناس السراب ماء ، ولو دروا أن ما فرط من صمتهم أيسر من إدراك ما يفوّتون لأخرسوا سياستهم لأن الكلام يسمع وينقل والصمت ليس بمسموع ولا منقول ، ولأن من أكثر اهجر وقلما سلم مكثار وأمن من عثار ، وسياستهم تباين أهل الخير وتقرب أهل الشر . وكم احبطت سياسة حب الذات اعمالاً جليلة وضيّعت على العرب فرصاً ثمينة، ولقد بلغ من سياستهم أن يناطحوا الدهر ولكنه يكسر جماجمهم:

ومن قامر الأيام عن ثمراتها فأحر بها أن تنجلى ولها القمر

ولو لم يغالوا فى حب ذاتهم لما شمست بهم سياستهم :

إذا الدهر اعطاك العنان فسر به رويداً ولا تعنف فيصبح شامسا

وقد حذرهم المثل من اللجاج فقال : (اياك وأن تجمح بك مطية اللجاج) وقالوا اللجاج يكسر الزجاج ويثير العجاج ، واللجاج من القِحّة والقحة من قله الحياء وقلة الحياء من قلة المروءة وفى المثل (لج فجّ) . وسياستهم تقطع ما يجب أن يوصلُ وتصل ما يجب أن يقطع بينما الاصفى والاوفى :

فان اكلوا لحمى وفرت لحومهم وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

وان زجروا طيرا بخس تمرّ بي زجرت لهم طيراً تمرّ بهم سعدا

وان يكن رجل يزجر طير سعد فهو واحد نأمل أن يعمر ليعمر ما خربته سياسة حب الذات من بيوت العرب . وقد بدأت الوحدة يشرأب عنقها بسبب ثورات شعوب الأقاليم العربية على حكامها فعسى أن يغيب العدد فى الواحد ، وأن تتغير اتجاه سياستهم ، وتلاين من لعله يلين لو لوين ، فالملاينة أحد الظفرين . وأين قتلة السيف من قتلة النعماء ؟ وحسب العرب ما ضيعت السياسة من الحقوق . والى متى والعرب فى شؤم الساحرة ؟ فقد قالوا : (إن من شؤم الساحرة أول ما تبدأ بأهلها) والى متى سياسة التدجيل كسياسة مطر الهالك الذى طالما دجّل بأنه لا يملك غير ثوبه ، وكأن ثوبه ثوب عثمان الذى استغله ابن أبي سفيان الذى كان نهماً بالجفان فيأكل اكل ذئب نهم ، أوضبع قرم . وقد يتصور مطر أن تمويهه يروج على كل الناس فأين ثوبه من تماثيله ونصبه وتصاويره ؟ ولكنه لوقاحته لم يبال بدجله . وكان خيراً له من سياسته المبكية المضحكة أن يرى : إن عدم المضرة كوجود المنفعة ، وفعل المفسدة اخلال باللطف ، ودرء المفسدة عن الشعب خير من جلب المصلحة لذاته ، وهيهات أن يسمع هذا ، بل بالعكس أمن الزمان فضيّع ثغراً وقصر النظر الى دنياه مع أن دنياه وأمثاله كالأمة اللئيمة كلما ازداد العاشق لها عشقا ازدادت لعاشقها اذلالاً كما قال المتنبي :

وهى معشوقة على الغدر لا تحـ ـفظ عهـــداً ولا تتمم وصلا

شيم الغانيات فيها فـــلا اد رى لذا انّث اسمها أم لا

فتغلبت الغانية على عشيقها الدكتاتور مطر إذ رأى ناره تقدح بالزناد فركب مركبا صعباً ، وكان أولى أن يركب بنيات الطريق بدلاً من روغانه روغان الثعلب ، ويستغنى بصوت الأعمال عن صوت الاقوال ، ولا يتعدى من الكلام الى اكثر من (لا . وذا) لأن الناس من سياسة التوصيف كما قيل :

فان جميع الناس اما مكذب يقول بما تهوى واما مصدق
يقولون اقوالاً ولا يتبعونها وان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

إن الشجرة لتضرب بعرقها وتتفرع من اصلها ، وشجرة مطر طرحت فى مطارح كانت تنتظر عاصفة تعصف بها فتجتثها من جذورها لأنها لم تكن تجاوز سطح ارضها وها أن العاصفة قد عصفت بها فأطاحتها (فأما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) .

إن مطراً كان من بغضه للعرب والإسلام بغض الثور الصريع الذى اوثق للذبح من الشفرة ، أما هو من أعداء العرب والاسلام فكالموصول يطير بريش غيره ، وهو (كأم طحال)[1] احب اهلها اليها البغى .

ونقول إذا كانت الأمة العربية كفاً والاقطار العربية اصابع نابتة فى الكف فكيف هان على مطر أن يقطع اصبعاً ثم اصبعا ، وإذا كانت عضداً كذراع فكيف يهون عليه أن يرضه وله من تقاطع خطوط السياسة امثال من الذين دعوا المستعمر أن يلقى فى منابت ارض العرب المدر والحجر والشوك والعوسج ليقطع الطرق التى توصل بعض الاقاليم بالبعض . فهذه اسرائيل التى انبتها فى ارضهم وجعلها قاعدة للقطع السفرية المهددة لكيان العرب ما اعانه على ذلك إلا امثال مطر من عبّاد مراكزهم ممن حضر وغبر ، وأمنوا من أن تأتى عليهم الغير فيكونوا عبرة لمن اعتبر .

جواسيس مطر على الشعب

إن الجهة التى كان يرتبط بها السعاة على عهده بلغت ميزانيتها حدا لا يكاد يصدقها من لم يضطلع بالامور ، والجاسوس مصدّق فيما يقول ويخبر ، ولم يلتفت مطر الى القول : إن قابل السعاية شرٌّ من الساعى ، وفى الخبر دعوا الناس فى غفلاتهم يعيش بعضهم مع بعض .

---

(١) أم طحال يضرب بها المثل في الجاهلية فيقال : أزنى من أم طحال .

قال أحد ملوك الروم لمن يتجسس له : من لم يظهر له ذنبٌ لم يظهر له منا عقوبة وشبّه عدم إصغائه لمن يأتيه ببعض الاخبار بمنزلة مداخل الضياء الى البيت المظلم وليس لقطع موادّ النور مع الحاجة اليه وجهٌ عند العقلاء .

وان الأخبار ثلاثة : خبر يتصل بالدين فالواجب حراسته ، وخبر يتصل بالدولة فينبغى التيقظ فيه خوفاً من الكيد ، وخبر يدور بين الناس فى متصرفهم فمتى زوحموا اضطغنوا وتمنوا الزوال وأرصدوا العداوة لأن فى تتبعهم فى حركاتهم وسكناتهم كرباً على قلوبهم ولهيباً فى صدورهم ولأن فى تقفّى اثرهم سلباً لحريتهم .

وكان قاسم بعيداً عن كل هذا لأنه يحكم بهواه ، وقد خلع ضميره منه فصار يعمل عمل الضوارى فى الغنم السائمة ، ودأبه نقض سنةٍ صالحة ، ولا يتحرّج عن سفك ولو على الظنّة غير ناظر الى قول أمير المؤمنين علىّ « ع » : (لا تقوينّ سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله) .

ألذ شىء عند الركتاتور مطر :

ألذّ شىء عنده أن يسمع : صدّق الرئيس الأوحد ، وعاش ، ويعيش ، والموت لعدوّه حتى هلك غير مأسوف عليه ، لأنه كان من يغتصب الحجة بقوة التأمر وبقوة السطوة ، فيصدّق الكذب ويعدّل الجور ، ويصوّب الخطأ ، ويعِدُ نسيئةً بلا وفاء مع أن وعد الكريم نقدٌ وتعجيل ووعد اللئيم مطلٌ وتسويف ولو جمعت مواعيده بانتهاء قضية الكويت ، واخماد قضية الشمال لو جمعت هذه المضللات لبلغت المجلدات ، وكانت الصحف تطلع على القراء كل يوم بعناوين كبيرة بالقلم العريض فى انتهاء القضيتين ولا أثر لذلك حتى جاءت ثورة ١٤ رمضان التى هى مفتاح الخير ومغلاقٌ لكل ما فتحه مطر من شرٍ إن شاء الله ، كما ان الدجل والملاعيب قد دفنت معه ، كم من الناس كانوا يتساءلون اذا كان فى امكان مطر أن يضم الكويت الى

العراق لم كان يضيّع الوقت والفرصة ؟ مع ان للتأخير آفات ؟

اذا أمكنت فبادر اليها حذراً من تعذر الإمكان

اذا قلت لمطر وجهازه الظالم قالوا لك :

اذا قلت لهم : إن سجن الديماس المظلم ، وسياسة الخبط فى الليل التى يعثر فيها السائس لا تحقق استقراراً ، ولا تطفى باطلاً ولا تحيى حقاً ، قالوا لك : نحن أعلم بما ومن فيها ، واذا قلت لهم لا تستعملوا من لا يعرف اللين ولا الرحمة ، قالوا لك السياسة أعرف ، مع ان الغضب نارٌ وإنما يستعملون النار لأن فى نظرهم ان نار مطرٍ اذا لم تمازجها نار عصابته كانت الى الإنطفاء والخمود أقرب ، ولذلك نصبوا من الغضب بين شفاههم نصباً ، ونظرهم (فان تأبّت فبالأشرار تنقاد) .

عجب مطر وتبرمه :

كان مطر ممن تأصل فى نفسه العجب والتيه ، وقد أفقده الزهو مساعدة الجد له وأخسره توازنه ، فثنى عطفه ، وصار العجب يصرّفه فيخبط ويخلط . وأسكره ولا صحو (ولا غيرٌ لديه ولا نكير) وصار يرى أحلاماً يصدّقها وهى كاذبة ولو درى ان أحلامه ستؤول به الى ما آل اليه لما طلب لحلم منامه تأويلا ، ولما كانت تلعب به وساسه ولاعتبر تخيّلاته من اضغاث الأحلام ، ولأنّ ما كان يطلب بعيد عن مستواه إذ كيف (يتمنى النفّاط أن يكون امبراطوراً ؟) كيف يطلب فوق ما ناله ؟ فالدهر أجرم فيه وعليه أن يتوب ويكفّر ويستغفر ، فان كان مطر يقول لمن ينكر عليه : (إنكم قوم منكرون) فيقال له : أنت أنكر لأنك ضد الشعب فينبغى أن تكون فى سياستك أجهل ، وفرقٌ بين تجهيل الاجماع فرداً وبين تجهيل الفرد الاجماع . أما الأقليات وأهل الهوى والسعاة والمخربون فليسوا من الاجماع

(١) سجن الديماس : سجن الحجاج .

لأنهم عن الشعب غرباء . وقد بطأ بالدكتاتور مطر أن يكون له حظ من سياسة جمال الذى هو بحيث :

فاذا أمرت فما يقال لك ابتدئ واذا حكمت فما يقال لك اعدل

وأين خطاب مطر من خطاب جمال ؟ فخطاب مطر بلغ من مسامع الناس كما قيل :

ورب كلام مرّ فوق مسامعى كما طنّ فى لوح الهجير ذباب

فكان حتى فى ثرثرته يقدّر الناس غير تقديره .

مطر لم يفكر فى امساك قوّته :

لم يمسكها فتقحمت به ، لأنه لم يحذر صولة الكريم ، والحال ان المظلوم اذا ضيم وامتهن فصولته أقوى من اللئيم اذا أُكرم أو انيل

لا يصبر الحرُّ تحت ضيمٍ وإنما يصبر الحمـــار

وقد صبرت الأحرار أربع سنين ونصفا بحكم الاقدار فلما واتت فرصة القدر انشعب هاونه فى الشمس بعد أن باضت دجاجته على الوتد ، وبما ان الامور بخواتيمها لا بأوائلها فسعادة مطر التى خلطت بالحجر فمثلت له التماثيل ودعى بالاوحد انقلبت هذه السعادة الى مهلكة لأنه طغى وتمرّد وعلا وصعد حتى اذا ما انتهى الأمر هبط . وهكذا كانت عاقبة من اذا ظلم وعاقب على غير ذنب كان سبعاً ، وكان مطر ولعاً بالثناء عليه ولو نفاقا كاطراء الصحف والاذاعات عليه ، ولو تصاغر الى نفسه وتأمل لأدرك ما قيل (ليس أحد سمع ثناء أحد عليه إلا وترا آى له شيطان) ومن الأمثال (اذا طار لك صيت بين الحصّاد فاكسر منجلك) إلا أن مطراً لم يبارحه شيطان نفسه ، ودوماً يشحذ منجله الى أن حصد رأسه بمنجل اجرامه ، فكان بقدر علوّه هبوطه .

وكان عليه أن يعلم ان حركة الإقبال بطيئة وحركة الإدبار سريعة ، لأن المقبل كالصاعد الى مرقاة ، والمدبر كالمقذوف به من علوٍ الى سفلٍ ، هذا

وللإدبار علامات :

ان الامور اذا دنت لزوالها فعلامة الادبار فيها تظهر

لكن مطراً كان لغروره مستبعداً تقويض حكمه ، وكان هذا أعظم أخطائه لأنه لم يفكر فى أن من يخطىء ويريد أن لا يعود نظر فى أصل منشأ خطأه فاحتال فى قلعه فان لم يفعل عاد فثبت خطأ آخر وهكذا . ويقال : إن البدن الخالى من النفس تفوح منه رائحة النتن ، كما ان النفس الخالية من الحكمة هى كالبدن الخالى من النفس .

إن الدكتاتور مطراً مخلوق فيه كالناس قوة معرفة الحق ولكنه استعملها فى غير ما خلقت له ، وهو وأمثاله من القوة كالسم يدفع الى انسانٍ ليقتل به عدوه فيقتل به نفسه ، أو كسكين تحمّله طفلاً لا يحسن استعماله فربما جرح بها نفسه ، ومطر استعمل سطوته على شعبه الآمن ، وأفسد ضمائر الناس ، وصال على الارواح ، وإن انكر منكر ما أتاه من فظائع (فعلى المريب شواهد لا تدفع) والشيء يشتاق الى ما هو من طبعه ، فالجنس الى الجنس ، والسنخ الى السنخ ، والجنسية علة الضم .

إن مطراً لابتلائه بداء العجب كان يظن انه قد بلغ الغرض ، وكان يكذب والكاذب فى نهاية البعد عن الفضل ، وكان يرائى والمرائى اسوأ حالاً من الكاذب لأنه يكذب فعلاً وذاك يكذب قولاً والفعل آكد من القول .

أما المعجب فاسوأ حالاً منهما لأن الكاذب والمرائى يريان نقص أنفسهما ويحاولان اخفاء عيبهما ، والمعجب أعمى عن عيوب نفسه ، والدكتاتور مطر كان جامعاً بين الكذب والرياء والإعجاب ، فمن كذبه انه المفجّر لثورة ١٤ تموز ، ومن ريائه انه لا يملك غير ثوبه ، ومن إعجابه ان عبد الناصر أقل من تلميذٍ له ، وتيههُ (زيّن له سوء عمله فرآه حسنا) ولإعجابه يصدّق نفسه فيما يظن ، ولتيهه يصدّق نفسه قطعاً ، وقد يعجب معجب ولا يؤذى أحدا .

والدكتاتور مطر التيّاه ازهق الالوف من الارواح ، وبذر مئآت الملايين من اموال الشعب ، وافسد اخلاق المجتمع ، وساعد الله شعبا حاكمه مطر الكذاب المرائى المعجب التيّاه البرّاق الخلاب المارق الدجال ومع كل هذا يدّعى ان الشعب مدينٌ له ، لأنه حطّم الاستعمار ، وقطع الإقطاع ومحاه وأشبع الشعب من بعد جوع وأمنه من خوف ، بينما الشعب لم يبرح عنه الفقر الاكبر وما اطمأن منذ تولى وما استقر .

وسوء حظ هذا التيّاه حال دون أن يستقبل وجوه الآراء ، ودون أن يتواضع للنصحاء ، ودون أن يصحح الاخطاء ، ولم يخمّر رأياً يقرّبه من الصواب .

هو من الغوغاء :

لقد اشارت عليه نفسه المجرمة وبطانته التى قدّت من اديمه أن يتخذ الفوضويين سلاحا له ، على انهم يطفؤن الحريق وينقذون الغريق ، وفاته وزمرته الذين هلكوا معه ان هؤلاء الغوغاء كالبحر اذا هاج أهلك راكبه لأنهم أهل النقص والسخف وكل شرّ يصدر عنهم ، ومنهم اللصوص وقطاع الطرق والمحتالون والنشالون والسعاة بالناس ، واتباع كل ناعق ، والذين يميلون مع كل ريح ، وهم الذين يغلون الاسعار ويكدّرون المياه ، أما انهم جند الدرهم والدينار ولكنهم على من يهيّجهم اذا ماجوا وهاجوا أشد خطراً . والخلاصة ان وجوه الغوغاء لا ترى إلا يوم سوء ، لكن الدكتاتور مطراً اتخذهم عدّة تجاه أحرار ١٤ رمضان فقتل كيف قدّر إذ نظر انه بهم ينال الظفر ولكن اخلفه ما قدّر فنزل بساحته القدر فكان حتفه ، وهكذا تكون عاقبة من شيمته الغدر ، ردّ فعل لما أمر وامرّ ولأنه لم يكن موضع رئآسة ، لأن الرئآسة لم يكن صاحبها رئيس عصابة الرذيلة والإجرام ، إنما الرئيس من هو فى جانب الإثبات يكون عادلاً صادقا وفى جانب السلب لا يظلم ولا يكذب ولا يجهل .

وماذا يرجى من الرئيس وعصابته الذين فى نظرهم الفاحشة ترفيه ؟ وكم كان عهد الدكتاتور مضرب الامثال فى عدم المبالاة بشيوع الفاحشة ، ومسخ طيب الاخلاق الى ما يندى لذكرها جبين من فيه عرق من الغيرة والشرف .

مصيبة الناس بالركّع السجود للدكتاتور مطر :

إن عصابته هذه الذين اتخذوه كهفا واتخذهم وليجته ، هؤلاء لو كانوا طبخوا على الماء وعاشوا لكان خيراً لهم من ذلتهم :

اقسم بالله لمصّ النوى وشرب ماء القلب المالحة
أحسن بالانسان من ذلةٍ ومن سؤآل الأوجه الكالحة

والأعجب من هؤلاء الذين ربحوا فى سوقه أناسٌ لا ناقة ولا جمل لهم من نجاح هذا الظالم ويرون انه من يشفى من عضّة الكلب ، ويقولون بما مضمونه :

قد استعذنا بعظيم الوادى من شر ما فيه من الأعادى

والحال انه من يستعاذ من إسمه ، ويجىء آخر فيغالى فى التزلف وينشد قد بتّ ضيفا لعظيم الوادى ، المانعى من سطوة الأعادى ، راحلتى فى حفظه وزادى ، والحقيقة ترد على مثل هذا المنافق إن الذى راحلتك وزادك فى حفظه كما تزعم هو الذى سطا على الآمنين وأهدر الآلاف منهم ، ونكب البلاد نكبات أطارت عن أهلها الرشد حتى فرّج الله بيوم ١٤ رمضان فتنفس الناس الصعداء .

وسماه المنافقون بالدهر :

سموه بالاوحد والحال انه من طار قبل أن ينبت له ريش ، وهدر قبل أن يستفحل وزبّب قبل أن يحصرم ، وقرأ بالشواذ ولمّا يحفظ جزء المفصّل ، لذلك بنى على نهج مختلف ، وأومأ الى متفاوت ، ومضى على التلبيس ،

ولكنه مهما لبس وتستّر فقد انكشفت عوراته ، وبانت سقطاته ، ومن كان هذا أمره هل غير أن تخذله الحيل ويسقط سقوطا لا نهوض منه ، وان من هو مسترسل بالفسق والفجور هل يصح أن يكون الاوحد ؟

إن ضعف عقل هذا الاوحد هو الذى غرّر به فأراده ، ولو كان ذا عقلٍ لقدر نتاج العقل ، فقد قالوا (لو صوّر العقل لاظلمت معه الشمس ، ولو صوّر الحمق لأضاء معه الليل) ويقول المأمون (إذا أنكرت من عقلك شيئاً فاقدحه بعقل) . أما الدكتاتور فيرى عقله فلكياً ، بل يرى أن عقله العقل الفلسفى الفعّال .

والحال أنه لو كان عاقلاً لضرب وجوه الرأى بعضها ببعض حتى يستخلص الرأى الأصوب فى كل أمر ذى بالٍ . أما كيف فسحت له الأيام أربع سنوات ونصف سنة وهو من قهر هواه عقله وقهر الناس بحماقته وظلمه ؟ الجواب إنه النصيب الذى صرف مساويه عند منافقى الناس الى محاسن وليس هذا بغريب على شعب متأخر حضارياً ويضم نزعاتٍ وعناصر وطائفياتٍ وأنهم مع من قامر فقمر ، ولم يحسبوا أن الأيام ستقمرهم :

ومن قامر الأيام عن ثمراتها فاحجِ بها أن تنجلى ولها القمر

ومن صارع الحق صرعه الحق ، ولم يجده تنطّسه عن أن يكسبه اللعنة عاجلاً ، وعقاب الحق آجلاً ، إنه لو كان من أهل التوفيق لأصلح باطنه ليصلح ظاهره ولعفّ عن هدر الدماء والأعراض والأموال ، لكنه كان فاسد الظاهر لفساد الباطن لأن الظواهر تدل على أصلها الباطنى .

ان العروق إذا استسرّ بها الثرى اثرى النبات بها وطاب المزرع

واذا جهلت من امرىء اعراقه وقديمه فانظر الى ما يصنع

أنظر الى ما يصنع ، أيصنع صنع الكرام ، أم يفعل فعل اللئام ؟ إسأل مذبحة الموصل ومجزرة كركوك وسائر مدن العراق وقراه ، إسأل الجثث التى عرضت فى التلفزيون بلا رؤوس ، إسأل رؤوس الأطفال وأذرعهم التى

أحضرت وشاهدها بعينه حتى قال : إن هذا لم يقع حتى فى دير ياسين ، إسأل الدملماجة والحفر التى ضمت الجثث البريئة التى قتلت صبراً بعد تعذيب ، إسأل أمّ الطبول بأى ذنب قتل الذين قتلوا فيها صبراً إسأل تعرف اعراق الاوحد ، اسأل وقل الله أكبر على ما صنع مطر وجلاّدوه . اسأل هذا الذى أسكره ما نال مما هو فوق قدره ، اسأل تعرف بما كان يصنع ويصنع جلادوه ، فالرجال يعرفون بما يصنعون كما تعرف الخيل بالمضمار ويعرفون بالولايات كما قيل :

سكرات خمس اذا مني المر ء بها صار عرضةً للزمان
سكرة المالِ والحداثة والعشـ ـقِ وسكرُ الشوابِ والسلطان

فالأوحد بالإجرام من اسكره مال الشعب الذى احتكره بيده ، واسكره غريزته الشبقة التى كان بها منطلقا مسترسلاً ، وأسكره بنت العنب والتفاح واسكره حتى أفقده الوعى تسلطه ، واسكره الحديد والنار الذى كان بيده ، واسكره شعوره بأنه الكلّ فى الكل وجلاّدوه رهن إشارته وطوع بنانه ، قال البحترى :

وتاه فلان ان اعير ريآسة وقـلّد أمراً كان دون احتماله
وضاق على حتى بعقب اتساعه فأوسعته عـذراً لضيق احتماله

من يصرّ عنه فعل يصرّ عنه ما يشابهه :

ذلك لأن الطبيعة المحركة الى فعل تحركه الى ما يناسبها ، لأن ما دعاه الى تلك الحركة ليس لخصوصية تلك الحركة ، بل لما فيها من المعنى المقتضى وقوعها عند صاحبها ، وهذا يتعدى الى ما يجانسها ، لذلك لا تطلع على من مثل الاوحد يوماً انه ألّب فئة على فئة حتى وقع ما اسال الدماء إلا وتطلع على اتيانه ما يجانس الحركة من ظلم وتعذيب ، وكـذلك سواس الشعوب كل ينفق مما عنده وكل اناء بالذى فيه يرشح ، هذا يفـكر فى دوام الفوضى كمطر الذى

نظره لا يتعدى نفسه ، هذا الذى باطنه ذئب ولكن يلبس جلد الضان ويخرج به الى الناس ليظنوه فى الوداعة وداعة الشاة ، ولكن على الرغم من حيله فقد تخطّاه حظّ الدهاة أن يأتى الأمور من أبوابها لا من أذنابها . وظن نجاحه فيما يأتيه من مذهل للرؤوس ومحير للألباب ، وبما يأخذ الناس فى حجورهم ويضربهم بأحجاره هو المثبت لقدمه ولكن لئن فعل ما يدل على اعراقه لم ينم عنه القدر حتى انطمر ، وقد كان يظن بأن ثعلبيته قد أخلت له الجو فباضت القبرة وصارت تصفر ، ولكن ظنه اخلفه ، واخلف المغترين به الذين كانوا ينعتونه بالاوحد وبانه الاسد الهصور الغرث وثب عن فرائس فى باكر يوم أغر محجل يوم ١٤ تموز وانه المعنىّ بالقول (رب واحد كجيش عرمرم) يقولون عنه هذا نفاقا كنفاق إذاعته والصحف المأجورة والحناجر المدهونة، والحال انه لم يكن حاضراً يوم١٤ تموز على ما قيل، ومن خلائقه انه كان لا يصبر على طعام واحد كأنه من قوم موسى ، فتارة يقول : انه قائد الجمل وفى المثل (ما استتر من قاد جملا وكفى برغائه نداء) وانه عصام ونفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما ، وربما قال قول عامر بن الطفيل :

فما سودتنى عامرٌ عن كلالةٍ أبى الله ان اسمو بأم ولا أب
ولكننى احمى حماها واتقى اذاها وأرمى من رماها بمقنب

وانه نال الرياسة بساعده الأشد وبوثبانه وثباته التى صار بها بيضة البلد العراقى وقطر قطره وفاتح باب خيره وساد أبواب شره .

والحال انه فى كل ما ادعاه كاذب فيه ، وانه أكذب من الفاختة التى يزعمون انها تقول : جاء الرطب . وانه لا يعرف أى طرفيه أطول ، وانه من لا يعرف نسب أبيه ولا نسب أمه ولا جهته مما بين وركيه ، وإنما يعرف ما سفك ، وما اسرف وبذر ، ويعرف اختيار الجلادين ، ويعرف الراقصات والمجون ، ويعرف كيف يجرم وكيف يقرّب من أعدّهم للإجرام ويعرف وكيف يعدّ المخططات لإبادة الآمنين .

لو سألت الأحرار عن دور مطر :

لو سألتهم لقالوا لك : (والموت خير من حياة على رغم) ولو سألت الصدق كيف أنت ممن كان يزعم أنه حرّر البلد من الاستعمار ؟ والفلاح من الاقطاع ، والعامل من أصحاب المعامل ؟ لأجابك (والموت خير من حياة على ظلم) ولو سألت من عضّه شجاع البطن كيف حالك من دور الاوحد ؟ لأجابك انني لم ازوّد غير زاد الضب ، على أن الضب إنما يتغذى بالريح والنسيم ، ويأكل القليل من العشب كما قيل :

وقد كذب الملعون ما كان زاده سوى زاد ضب يبلع الريح عطشانا

ولو سألت عن يومه الاغر لأجابك المجيب بأنه : كابعار الظباء أول ما تشم توجد لها رائحة لما أكلت من الشيح والقيصوم ، ولكن لا تلبث تلك الرائحة حتى تنعدم ، ومثل آخر : كنقط العروس تذهب عند غسلها ، أما أشباه مطر من حكام أهل الدنيا فانهم كأسنان الحمار فى وجه الشبه وكما قال المبرّد :

اذا ما قلت أيّهمو لأيّ تشابهت المناكب والرؤوس

وكما قيل :

همو رؤوس سمنهم فى أديمهم وكلهم من حلية المجد عاطل

وكيف لا يكون عاطلاً من حلية المجد من ينسى أول سورة المائدة [يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود] وكيف يفى بعقد من يضحك من شعبه الذى يبكى من جوعه ويقول بالسلام وهو حرب السلام والإسلام ؟ وحجر عثرة فى طريق كلمة وحدة الأمة ؟

ان جهاز بعض الرؤوس وان يترا آى للناس طويلاً فهو خيط باطل ، أو أنه كالهباء الذى يدخل من ضوء الشمس فى الكوى . أو هو الخيط الذى يخرج من فم العنكبوت .

وكيف لا يكونون من الوهن كذلك ، وشعوبهم تعدُّ الحصى وتخطُّ فى الارض وكلُّ مفلس حلف نقرس كما قيل :

ولا سيما من مفلس حلف نقرس أما نقرس فى مفلس بعجيب ؟

عجيب لأن المنقرس أغلب ما يكون مثرياً ولهذا سمّوه داء الملوك .

وما حيلة شعوب مرهقة برؤوسٍ ملحُها على رُكَبها ، ويستفزُّها الغضب لأدنى سبب ؟

لا تلمها انها من عصبة ملحها موضوعة فوق الركب

وهل النعم التى انغمسوا بها هى شىء مكتسب لذواتهم ؟ خذ الجواب من قول القائل :

تراك اصبحت فى نعماء سابغة إلا وربك غضبان على النعم

أما الشعوب المحرومة فهى بحيث يقال :

وما خير عيش لا يزال كأنه محـــلة يعسوب برأس سنان

فنصيبها من السواس كالاوحد قلقٌ وعدم استقرارٍ ، لأن عهده من الغدر كعهد الغراب لأن كل طائر يألف انثاه إلا الغراب فانه اذا باضت انثاه تركها وصار الى غيرها والاوحد كان يترك أهل الوطنية ويتبنى الفوضوية ، وينهّد على الآمنين الجلادين ويرفع أقدارهم ويستذل أهل الخير ، ويخضعهم على وجه الاضطرار والإلجاء الى السكوت وقد عاند ما قيل : (يحمى الكريم عرضه ودينه) ففعل العكس ، وبلغ الناس من اليأس انك لو قلت لأحدٍ : ان الظرف متنقل ولا يضيع حق وراءه طالب حر لئن قلت هذا الجواب لك : كيف تنال الايدى من تحفّه بحصنه النار والحديد ؟ ومن كان يدرى انه كان يتأرجح فى ارجوحة القدر حتى انقطع به الحبل ، ألا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا .

المنافسة بين السواس :

إنما يتنافسون لأن كلاً يرى الصالح حجر عثرة فى طريقه فتنمو فيهم

النزعات العدوانية إذ كل يسلك فجاً غير الذى يسلكه الآخر ، بينما لو عملوا متعاونين على مشاكل شعوبهم ومشاكل الحياة فانه لن يكون إلا الحب وإلا الاخوة . واستغنى كل عن الكيد للآخر وعن التلاعن والتباهل على لسان الاذاعات المأمورة ، ولكن بالعكس يرون التهاتر من النشاط الترويحى لأنفسهم يملؤن بذلك دعتهم وفراغهم وفى ذلك أشهى لذاتهم . إن تقاذعهم لا شك منبعث عن القلق الذى يساورهم فهم من خوف بعضهم من بعض كخوف من يتفزّع من طيف فى الظلام ويتصور الغد المحجب سبعاً سيفتك به فلا يستريح فلذلك راح كل يخلق للآخر أعداءً ولو بالباطل ، ولو احسنوا النية وضبط كلٌّ اعصابه لترفعوا عن هذا النزول بالنفس الى الحد الذى هم منه .

ورب قائل يقول ان الانسان مدفوع الى فرض نفسه والسيطرة على العقبات وازالتها عن طريقه . وإذا كان رأس هو عقبة فى طريقه فلا لوم عليه إذا ما جهد لإزالتها عن طريقه فالتعليق على هذا بالقول : إن الرغبة فى الاستقلال الشخصى والشعور بالقوة الذاتية لا يخلو من أن يكون عن غريزة من لم يبلغ سن المراهقة ، أو عن مرض يدفعه كما يرى ذلك صادراً من بعض الرؤوس ، وحينئذ اما أن يرجع هذا الى عقله فتتهذب دوافعه وتصقل وإلا نشأت عن دوافع السيطرة روح شريرة تسمح بالقضاء على استقلال الآخرين كالروح التى طبعت حياة روبسبير ونابليون وموسولينى وهتلر وأمثالهم ، أو تسمح بالقضاء على حرية شعب هو الحاكم عليه كمثل الاوحد مطر الذى دمّر العراق ، ان هؤلاء وان اعتبرهم الناس ممن أشغلت صحفهم التاريخ لكنهم بالنظر الى الانسانية أصاغر .

إن دافع السيطرة مبررٌ إذا كان يهدف الى ضمان السلامة ، وإلا فهو أنانية مرذولة تجرّ وراءها سوء عقبى . ويمكن أن يقال فى مجال العرب الخاص ان التشبه بهؤلاء الطغاة الذين كانوا يتعطشون الى هدر النفوس

واضاعة الأموال ما هو إلا التشبه بأصحاب الرذيلة وان اشتهروا التاريخ ، ولعلّ الاوحد مطراً كان يزهد فى الارواح وأموال الشعب وراء الشهرة والرغبة فى استقلاله الشخصى ، ولا شك انه كان مجنوناً بدوافعه ، التى كان بها دون الطفل عقلية وأكثر من مفترس الغاب إجراماً ، أقول انه دون الطفل لأن الطفل يرتفع صوته إذا تكلم ومثله هذا الاوحد إذا خطب احمرّت عيناه وعلا صوته فى أتفه الامور ، ولذلك ولكثرة ما يثرثر يعدّه العقلاء فى عداد الحمقاء .

ولو درى ان حب الظهور كالمقلاع لا يلبث أن يرتد الى الرامى بحكم طبيعة ردّ الفعل ، لو درى لما اتخذ حب الشهرة أداة يستجدى به استحسان الجماعات فيرتد عليه تحميقا . وكم ممن يهتف له لسانه يسخر منه قلبه ، ويظن هو ان الناس يعتقدونه الخطيب المصقع . ولو كان ممن ينتفع بالظن لعلم أن ثرثرته واقعة من وجدانيات الناس موقع استهجان ، وإنما يتجاهلون ذلك لما فى نفسهم من غاية ، والغاية إما أن يكون دافعها الرهبة والجبن ، أو الرغبة فى الوصول الى خسيس .

تبرير الأوهام أعمالها :

التبرير هو أن يدلى المرء بأسباب مقبولة معقولة تغطى دوافع سلوك معين يشعر المرء ازاءه بالخجل والفشل ، فمثلاً إذا رأينا ذا زمام يرتكب افعالاً تنم عن انه زاهد فى الأرواح والاموال والحقوق . وان هذا الفعل من دلائل القسوة دفعها بأنه يقصد بذلك خدمة المصلحة العامة ، والحال ان حقيقة الاوحد انه إنما يقصد باجراماته تثبيت قدمه وتدعيم سطوته وبقائه الحاكم بأمره ، ولم يكتف بهذا حتى صار ينسب الى ما لا يلحق مداه النقائص التى هى فيه ، وقد عبروا عن التبرير بالاسقاط ، والسلوك الاسقاطى هو خداع ويشمل النزعات التى تلقى فى اللاشعور ، ثم تنطلق منه بقصد تخفيف

اللائمة ، وبهذا يحاول تحقيق راحة سطحية ويحمى نفسه من صراع أليم .

ولو شعر الاوحـــد مطر ان هذا النوع من الإسقاط يضلّـل العدالة بادعائه الـكاذب لسكت عن التعليلات ، ان الاوحد لـكونه كله نقصا يبرر كل نقيصة من نقائصه .

إن مثل من يأتى النقصائص كمن يتعاطى مادة مخدّرة تسكيناً لألم أو تسرية عن حزن ثم سرعان ما يفقد سيطرته عليها فيصبح عبداً لها ، وهكذا بعض الرؤوس قد فقدوا السيطرة على أنفسهم فأصبحوا عبيداً لها وشقيت شعوبهم بنقائصهم وإلا لحسبوا للأمة العربية التى أرضها كلها وطن لكل عربى حساباً.

اختلاف رؤوس العرب :

ان يختلف ماء الوصال فماؤهم عذب تحدّر من غمام واحد

وإذا كان ماؤهم متحدّراً من غمامٍ واحد فلم هذا الإختلاف ؟ ولمَ يفرض كل رأسٍ نفسه على شعبه والأمة فرضاً ولِمَ يبرر نقائصه ، ولم لا يغار على أمته ؟ قال يهودى لعلىٍّ ع (ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم) ، فقال له علىٌّ : (ما اختلفنا فيه وإنما اختلفنا عنه ، وإنما الذى اختلف فى نبيّـه أنتم يا يهود ، فما جفّت أرجلـكم من البحر حتى قلتم لنبيكم : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال انـكم قوم تجهلون) .

وإذا اختلف العرب عن العرب هل من أملٍ للائتلاف بعد الاختلاف؟ الليالى فى ضمان الارتجاع ، وسوق الـكلام بالوحدة والإتحاد قائم ، ولا ثمن للوحدة غير تصفية السر ونـكران الذات فعسى ولعل ينقلب الترجى الى صار وتتحقق إن شاء الله خصوصاً وكانت عوائق قد نحتّها الأيام عن الطريق، وها ان وحدة الأقاليم الثلاثة قد تحققت ونأمل أن يلحق التالى المقدم إن شاء الله .

الله المختلفين عن العرب أهل وهم وعيال :

وذلك ان المريض اذا تقرر فى وهمه ان مرضه قاتل له ربما هلك بالوهم ،

وكذا من تلسعه الحية ويقع فى خياله انها قاتلته فقد يموت فى خيـــاله ، وضربوا لذلك بمثل آخر وهو ان الماشى على جذع معترض على مهواة فان وهمه وتخيله السقوط يقتضى سقوطه وإلا فمشيه على الجذع منصوباً على المهواة كمشيه عليه ملقى على الارض ولا فرق بينهما إلا الوهم والخوف ، وكذلك المتخيلون ظلّ من قيّضه الله لاعلاء كلمة العرب يخافونه على مراكزهم ، ويتخيلون القرب منه كأنهم يمشون على جذع معترض على مهواة ، وهذا هو سبب الاختلاف الذى استنعج العرب به بعد ما كان العرب أُسُداً ، ولكن الأمل قد انجز بالعمل .

كان العرب اسماً دلّ على معنى بذاته ، وكان فعلهم ينبىء عن اخلاص وشجاعة ونخوة فكيف صاروا حرفا لا يدل على معنى إلا بغيره ، وكان اسمهم يدل بالوضع على الثبوت والدوام والاستمرار فكيف صار يدل على الضعة والهوان وعدم الاستقرار ، هل من سبب لذلك إلا الرؤوس التى رضيت أن تكون مع الخوالف وخلّفوا شعوبهم عن الركب الذى اقتحم العقبة ، وكان فعل العرب يدل على تجدد الخير والبركة والعلم والمعرفة فكيف صاروا أحاديث فى التفرق والانعزال ؟ وكان من صيغة افعل العرب : أحمد وأسعد وأشجع وأبدع وأروع ، ومن صفاتهم دارِ ودارب وعالم وظافر وفائق وناهض وغالب فكيف اختلف الى ضار وغادر وخادع وماكر وكاسل وقائم وقاعد ، وكان من منقول أسمائهم من اسم عين أسد وصقر ونمر وعُقاب ونسر فكيف انقلب الى ضب وضبع ، وكيف صار الاسود لهم صفة عرفية والاحمر صفة ارتدادية وكانوا من الصفة النفسية أغنياء ، فكيف صاروا باعتبار صفة سلبية فقراء ؟ وكانوا اولى الأمر وتحت رايتهم البيض والحمر ، فكيف صاروا يتهيبون الخضر ؟ السبب المتخلفون .

ابتلاء الأمة بالاقليميات :

هب أن جزائرى وسورى وعراقى ومصرى ومغربى وحجازى وتونسى

ويمانى وأردنى ولبنانى ونجدى وعمانى وليبى وكويتى وعدنى هب أن كلاً ينتسب الى مسقط رأسه ولكن أليست النسبة الشاملة (عربى) أليست الرابطة الكبرى (مسلم).

أليس نبيُّ المسلمين (عربياً) أليس الكتاب الذى يتعبّدون به (عربياً) فان قال قائل: إن هناك أقليات لا عربى ولا مسلم، فكيف تكون هذه الأقليات عربية؟ أم كيف تكون مشمولة بالرابطة العليا - الإسلام؟ فالجواب: أليس هناك ما يربطهم من عادات ولغة وتشابه جغرافية الأقاليم؟ أليس من يشعر بالعرب هو عربى؟

الحزبيات والنزعات:

الحزبيات والنزعات إذا كانت وسائل تؤدى الى خدمة الصالح العام وانها كالمشورة بتقليب وجوه الآراء واستخلاص وجه الصواب فلا مانع منها، أما إذا أدت الى نزاعٍ وخلاف وكان فيها الانفراج والفرقة والتناحر الذى يُطمع الاجنبي ويُثلج صدره فذلك جريمة لا تغفر.

احمل كلام أخيك على أحسن محمل:

من كرم النفس أن تتأول كلام عدوّك على أحسن تأويل ما أدّى الى حسن التفاهم فكيف بأخيك فى الاسلام وفى العربية؟

اذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذرا

وأين هم الذين يتأولون كلام اخوانهم على أحسن تأويل من الذين انطووا على الغل وبنوا مراعيهم على الدمن، وتصافوا على مواحهة من ثار بوجه الظلم بالسيف اشفاقاً من سريان العدوى على مراكزهم.

إن هؤلاء المشفقين لو قبضوا أيديهم عما لا يحل، وعقلوا ألسنة إذاعاتهم عما يخل لكان فى جانبهم أوفى وأجمل وأجل، فرب كلمةٍ تقول لصاحبها دعنى، ورب كلمة تعقب ريثا.

أرض الأمة العربية كلها وطن لكل عربي :

الشعوبي غير عربي ، والفوضوي ليس مسلما ولا عربيا ، والإباحي خارج عن الفطرة الإنسانية فضلاً عن الإسلامية وعن العنصر العربي ، واذا كان الأمر كذلك فليس بمسلم من لم يشعر بالإسلام وبشعور المسلمين وليس بعربي من لم يشعر بشعور العرب .

واذا كان الأمر كذلك ، فليس من أهل الوطن من لم يلتزم حرمته ، فكما ان لحاضنتك حق لبنها ، فيجب على المواطن الصحيح حرمة وطنه ، وأرض الامة العربية كلها وطن وحمىً للعرب ، وتقول العرب حماك أحمى لك ، وأهلك أحفى بك ، وكانت العرب اذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه ، وتطرحه فى الماء اذا شربته ، وكذلك كانت تفعل فلاسفة اليونان . وقالت الهند : حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك كان غذاؤك منهما وأنت جنين وكان غذاؤهما من الوطن . وقد قرن القرآن الكريم من يخرج من داره بمن يقتل نفسه فقال : [ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم] .

فساعد الله قلوب أهل فلسطين كيف تحملوا القتل والخروج من وطنهم وقد صادرت بنو اللقيطة ما يملكون من منقول وغير منقول ، ولا رحم الله من خذلهم حتى رسخت قدم صهيون واستباحت حماهم .

وغضب الله على من يجعل الوطن . وطن المبدإ الهدام اولئك أهل الاباحية والإجرام ولا حرام عندهم ولا احرام .

كان مطر أهو مطر من بحورهم للشعير :

كان مطر يظن أن فيما كان يفعل العز ، ولم يدر ان فى طىّ هذا العز إذلالاً له ولزمرته وكان مبتلى بالاطراء عليه ، ولو استطاع أن ينبت آذاناً يسمع بها الثناء عليه لفعل ، والأعجب انه كان يفعل الفجائع والاجرامات ويطلب

عليها مدحاً ، فهل جهل أعظم من هذا الجهل ؟ ولو عقـــل لفعل الأفعال المستتبعة للمدح ، ومع ذلك فالذى يطرى عليه الغريب لا فمه ولا شفتاه ، ولا مستأجرة الحناجر والأصوات ولا الأيدى المجموعة المسخرة للتصفيق ولا من يهمهم للشعير .

وهل يستحق مدحاً من هو أزهى من غراب . ومن هو فى الزهد باهدار الارواح أهون منه النمس الذى يجد فى طلب اللحوم ، وأهون منه الضبع يجرُّ الجيف وينبش القبور . وهل يستحق مدحاً من يكذب ويخون ؟ وهل يستحق مدحاً من هو بيت يسكن فيه روح نذل ؟ وساقط فى دينه واخلاقه ، وقد زاد بهرجه على أبى عبّـاد ثابت بن يحى وزير المأمون الذى كان اذا أقبل تمثل المأمون بقول دعبل الشاعر :

وكأنه من دير هرقل[1] مفلت حرب يجرُّ سلاسل الاقياد

وكان من خسيس أفعاله أن لو كان للاعمال رائحة لسدَّ الناس انوفهم أن يشمُّوها . وكان يدَّعى انه النطّـاح الذى لا نطوح له ، والحال (عند التناهى يقصر المتطاول) فلم يكن لغروره يتوقع زوالا ، ولولا جهله المطبق لعلم أن الدفاع باحكام الأمر واجرائه لا فى حصن دفاعه وظنَّ حصنه أحصن من (ماجينو) وخاب ظنه . وكان يخرّق فى العطاء ويسرف ويبذّر ، ويهب ويَنهب ويُنهب ومن ذا الذى قال له : لمَ وكيف ؟ ونصب نفسه راعياً ولـكنه ذئب عثا فى غنم ، وجرَّع من الاجفان ريّاها ، وأسقى الطلول بدم الشعب المطلول ، ولذته بالسفك كان يهيّج بقليل الشر عظيمه ، وقد اتخذ اخوانه الجلادين آكلى لحوم البشر وليجته وكلّهم قدُّوا من أديمه وقد عقدوا بينهم عقداً لم يكتب الله حله إلا على أيدى أحرار ١٤ رمضان إذ انجرف وزمرته ، وقد كان يرى نفسه من لا يحجز فى العكم بينما اذا جرت المذكيات حسر عن الحمر ، وكـان يظن انفراديته بالحـكم فتحاً بينما هو نصيب

(١) دير هرقل كان بيمارستاناً للمجانين .

واستدراج لعلاقة الخسة ، وكيف يكون توفيقاً أو فتحاً لعتلٍ مبالغ فى فساد ؟ وكيف يكون العتلُّ العاتى كريما ؟ (إن الكريم وأبيك يعتمل) وكيف يكون كريما من عزّ فبز وغلب فسلب ؟ وكيف يكون كريما من يأتى المناكر فى نشاط ؟ وكيف يكون كريما من يعند ويتباهى بعنده ؟ وكيف يكون كريما من جعل الناس كورق زرع وقع فيه الأكال ، ومنهم من أمسى كستبن أكلته الدواب ورائته ، ومن كان يقدر أن يقول لهذا اللئيم : عجبت من قيامك غير قعودك ومن حركتك غير سكونك . ولله فى خلقه شؤون فيمن هزّ الرشا ولم يُجد فتله ولم يحسن البرم ، ومن نصيبه واستدراجه كان يهتف له منافقوه بقولهم : اللهم غبطاً ، بعكس من فيهم روح من الانسانية فهجّيراهم : اللهم كبوةً لا قيام منها ، وهبطاً لا لبط معه ، وهوياً وسقوطا لا نهوض منه ، لأنهم كانوا يأملون بـ ١٤ تموز رفاههم فخاب الأمـــل والمخيّب هو مطر وزمرته :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقـد جئنا خراسانا

ولم لا يخيب الأمل بمطر وهو :

فضول بلا فضل وسنٌّ بلا سنا وطول بلا طول وعرض بلا عرض

ووقاحة يدّعى انه صاحب الأيادى فى حين انه للشعب من أعدى الأعادى (ولا عجب للقاصرين قصور) القاصرون كمطر الذى هو ألجُّ من خنفساء وأزهى من غراب لايصبر عن سفك دم ، أكثر الناس تجرّماً على شعبه فضلاً عن الامة العربية ، يصوم عن المعروف ، ويفطر على الفحشاء ، ويعدى من تسمى باسمه : الدهر رفعه وهواه وضعه ، ضيّق الصدو كثير الفخر وهو الى من يداوى عقـله من الجهـل أحوج الى من يداوى جسمه المعتل المنسل ، قوىُّ النكاية سمّاع لإفك السعاية ، عليـــه كل يوم شاهد بفسقه وفجوره ، أهوج متهور يتساهل فى صغير الشر الذى كم أدى الى كبيره ؟ يتعاظم على الزمان ، ويبتعد عن أن يلتمس مفاتيح لمغلقات الامور ، يعد ويخلف ويتوعد

ويحقق ويموه ويكذب ويخدع ويخلب وكم من شاهد عليه لا ينطق ، مستبد لا يستشير ويكثر من هجر الكلام ويطير سروراً بزائف الإطراء عليه ، ولم يفطن الى أن من مادحيه من يمدحه على اقذاء ودخن أو وراء المنفعة والقلوب منطوية على الضغن والحقد عليه ، قرّب الأراذل على الأفاضل ، وقرّب السفلة على ذوى المروءآت ، وكان يحرّك فيما يخطب باطن عيوبه ويحرك من عدوه ما سكن ، ويتزيّد فى كلامه مما يدل على النقص فى نفسه ولا يذكر ان المرء حيث يضع نفسه ، وانه متى تكلف خلقاً نزع الى عرقه ، وهل يقدر مطر ومن كمطر أن يضبط نفسه عما ينمّ عن سوء النية

وهل يملك البحر ألا يفيض ومدار كل شيء على طبعه ؟

وكلٌّ ينزع الى عادته كالماء اذا اسخنته وتركته عاد الى طبعه من البرودة ، والشجرة المرة لو طليت بالعسل لا تثمر إلا مرّاً . وأنّى لمعجب كمطر أن تعمل فيه حكمة ؟ وهو لجهله يرى نفسه انه أبو الحكمة وفتاق أبكار الكلام ، بينما انه فتاق أبكار الشر .

ومن البلية أن ترى الدنيا بكف لئيم ، بكف من منصبه أكبر منه وغريب عنه كمطر ، كان يظن أن دجله يكفر ادماءه الجفون ، وان الناس لا يعرفونه ملفقا ولا يعرفون سرّه الذى استكشفوه من أيامه السود على أيدى اخباث الحمر ، هذا الذى أظعن اناسا وأقام آخرين ، لأنه من أطغته القدرة وهوّجته نفسه وأسكره العجب والغرور ، وكان أكثر من رئيس عصابة الشطار وقطاع السبل الذين كانوا تضمهم بيوت المواخير وبيوت الملاهى والخمور والفسق والفجور ، اولئك الذين غرّهم حلم الزمن عليهم ولم يحسبوا (كل نطاح من الدهر له يوم نطوح) فأجروا من العيون عيونا ، وقرحوا أكباداً وأدموا قلوبا ورملوا نساءً ، وقتلوا فى حجور الأمهات أطفالا ، وكم يتموا وكم أزهقوا وصدعوا وأخافوا وأرهبوا .

ظن مطر انه علا السهى وان الدنيا قد عقدت معه عهداً لا ينقض ،

والحال ان الدنيا لم تف بعهدها لمن أطار الحلم جهل غرابه ، فكيف تفى لمن طبعه طبع غبين[1] وقد اعتسف العثار وركب الخطار واستفزته الغرة واخذته بالإثم العزة أخذاً ذهب برشده ولما يتوقع زوالاً ، لذلك لم يجر الامور على إذلالها ولم يعبأ بالقول :

إن الامور دقيقها مما يهيج له العظيم

فكيف بعظائم الامور التى أتاها ، غير نادم ندامة التغرير وغير معتبر بمن سادوا وشادوا ثم بادوا ، ولم يذكر :

فالولايات وإن طالت لمن ذاقها فالسم فى ذاك العسل

وإن الدهر ضرار وفى صرفه حول وأطوار ، ولعيشه احلاء وإمرار ، وان من لم يتروَّ فى الأمور كمريض يحدث له تغير مزاجه يؤديه الى الهلاك لفجأة هذا التغير كما قيل (وليس يحمد قبل النضج بحران[2]) . وأين مطر ممن يقول له شعبه وأمته (على يدك الخير والبركة) ؟ أين مطر الذى كان يظن جهلاً انه من يصطلى بناره ، ولا يتعرض لمراسه ، وانه ارفع من أن تقرن به الصعبة ، وانه النقاب والعضُّ الداهى أين هذا المغرور ممن يستشفى برأيه ومن صار مطمح نظر دهاة العالم ؟ أين مطر الذى كانت تدار على يده المنايا ممن يتوقع المطر من سحابة برقه وبحزمه ثبتت له الأوتاد ؟ ان مطراً الذى عاشت دكتاتوريته أربع سنين ونصفا جاهل ولم يعلم بأنه جاهل :

جهلت ولم تعلم بأنك جاهل فمن لى بان تدرى بأنك لا تدرى

هذا هو من العقلية . اما من نقاء الضمير وزكاة النفس فهو لا شك دنس الثوب غدّار فاجر غير طاهر الجيب ، وأفعاله تدل على انه ذو أفن وغش مخاتل كائد ماكر .

اما انه من رمت به الأقدار فيما استولى فلم يكن لأن أفعاله أفعال السؤدد وإلا لو ازنت مساعيه مراقيه ، وعادلت النعمة فيه . وإنما قابلت رفعته

---

(١) غبين من فيه ضعف رأي . (٢) بحران تغير يحدث المريض فجأة .

وضيع شيمه فعاد الى علوّه بالإتفاق ، الى حال دونه بالاستحقاق وصار جناحه في الانهاض الى مثل قدره في الإنخفاض ، ولا عجب إن القدر أذنب فيه فقد استغفر لذنبه وعاد الى الصواب ، لم لا وهو :

فتىً كان فيه ما يسرُّ الاعاديا على ان فيه ما يسوء الادانيا

وترك الآمنين ما بين قتيل مضرّج بدمائه وهارب يتلفت الى ورائه ، وترك من لا ذنب لهم تغصّ بهم السجون والعصا والهراوات تعلو رؤوسهم وتركهم رهن التعذيب ولا معين ولا مغيث وترك هذا يتحسر على أن يحسو حسواً وذاك يلقم مال الشعب لقما ورصيده مسبّع الأرقام كرصيد أخيه الأمير ، فحقيق بمن هذه أفعاله أن يكبو زنده ويأفل نجمه ، ويذهب ريحه ، وتنطفىء جمرته ، ويخلف نوؤه ، ويكلّ حدّه ويتضعضع ركنه ويذلّ عضده لأنه مما ظلم اعظم من الظلام الذين اشتهروا بالظلم في التاريخ وانه ممن :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً ومن اساءة أهل السوء احسانا

وظن انه في حلٍ مما ظلم لكن الجزاء العادل ضمّه الى من يقال فيهم :

كلوا المرّ مراً واشربوه فانكم أثرتم بعير الظلم والظلم بارك

فهؤلاء كانوا لا يقلون جهلاً عن دودة القز التي لا تزداد لفاً على نفسها إلا ازدادت من الخروج بعداً حتى تهلك ، فمطر الدكتاتور ازداد لفاً فلم يستطع الخروج من حصنه حتى هلك وعصابته ، وقد كان له عما فعل غنىً بتوددة لشعبه ولأمته . فالمودّة سريع اتصالها بطيء انقطاعها إذا كانت عن تجاوب شريف ، ومثلها مثل آنية الذهب بطيئة الإنكسار هينة الاعادة ، بخلافها بين الأشرار كالدكتاتور مطر وأترابه من السوّاس فسريع انقطاعها بطيء اتصالها كالزجاجة يكسرها أدنى شيء ولا وصل لها . ومطر غروراً اطال يده على الأيام ، وصبرت عليه حتى ركلته وزمرته الشريرة برجلها ، وصار كأنه يقول :

أطلت يدى على الأيام حتى جزانى صرفها صاعاً بصاع

وكان من رأسه من ثوّار ١٤ تموز بحاجة الى ترئيس غير هذا النذل ، ولكن القدر غطى على اصابة ظنونهم ، فاسترعوا ذئباً عثا فساداً :

وانّ برهط رأسوه لفاقةً الى سيّدٍ لو يظفرون بسيّد

وسبحان من قدره لا يُدفع وقضاؤه لا يُرد ، وكل شيء بقدر وقضاء ، وأين الذى سودته الأيام فعثا فى الارض فساداً ممن :

هو الرجل الذى إما ألمّت من الأيام مظلمة اضاءا ؟

تضييع رؤوس العرب أول الأمر :

ماذا ينتظر من رؤوس ضيعوا أول أمر الامة وصدره ؟ ماذا ينتظر عند الاعجاز ؟ فهل رسخ قدم اسرائيل إلا تضييع أول الامر حتى استغلظ آخره واستصعب ؟

إذا ضيّعت أول كل أمر أبت اعجازه إلا التواءآ

والعجب من الذين ضيعوه يشعوذون ويخادعون بأنهم سيردّون ما اغتصب . ومنهم الدكتاتور مطر الذى اتخذ السين وسوف من أدوات سحره ، إنما الذى هو موضع الامل بردّ ما اغتصب هو العربى المسلم الغيور جمال لولا أحجار العثرة فى طريقه ، أحجار العثرة الذين هم شعوبيون والذين ليس لهم عرق فى العرب . ولاحظ فى الإسلام ، أو من هم أذنّ للإستعمار ، وهؤلاء أعداء آبائهم إذا كانوا من عرق عربى .

إنما المجد ما بنى والد الصد ق وأحيا فعاله المولود

وإذن فنعم الوالد وبئس ما ولد :

لئن فخرت باباء ذوى شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

أما فعل مطر فيدل على انه لا عرق له فى العرب ، ودمه غير نظيف لذلك فهو عدوّ العرب والإسلام وصديق الإباحية .

كان يظن مطر ان البراعة بالرواء ورفعته بالايصاء بنقش صورته على

مختلف الاشياء ، والحال أن التجميل بسود العدل ، واحداث المشاريع المنتجة والتزريع والتصنيع ، وانعاش الأسواق ، ورفع مستوى المعيشة ومعالجة داء الفقر والمرض والجهل ، وتحسين المناسبات بين الذين تجمعهم رابطة الأخوة ، وأين مطر الحاكم بأمره من هذا وهو وأمثاله شمس العداوة ، ونقاقون فيما يبرر أفعالهم كالضفادع ، وقد جعلوا الشعوب شقية بهم حتى أبلغوا الاستعمار بغيته ، الاستعمار الذى صدورهم معه أوسع من الارض ، وتجاه أبناء جلدتهم اضيق من سمّ الخياط . ويتفاصحون بما يتفاصخون من شتم بعضهم البعض وقد أصبحوا ينطبق عليهم قول الجاحظ (اخلاق العرض صار دليلاً على سخافة الرأى وصارت الحظوة الباسقة والنعمة السابغة فى لؤم المشيئة ، وفى من فيه السفولية الواضحة والمثالب الفاضحة ، والكذب المبرّج ، والحلف المصرح ، وسرعة الغضب والجراءة قد استكمل سروره وفاز بالسهم الاغلب والحظ الاوفر .

أقول لا شك ان من نكد الزمان كأنه وكل بطحن العرب على أيدى رؤوس كما وصفهم الجاحظ ، هذا فى حين ادلهام الظلمة وخمود السراج وتباطؤ الانفراج ، وليتهم وقفوا عند حدٍ لا يبلغ دينهم وعروبتهم ولكنهم يتصامون أن يسمعوا (حسبك من شر سماعه) كما لم يلتفتوا الى القول ، إن من نقش برجل أخيه شوكةً وقى برجله رجل من قد شاكها من الاعداء ، ولكنهم صار لسان حال الواحد منهم يقول عن نفسه :

ماذا علىّ وان كنتم ذوى رحمى ان لا احبكمو هبكم تحبونى

وكل قد انعقدت فى قلبه عقدة (وليس يفتحها راق الى الابد) والى أن يصيح نوح الاسى (لا عاصم لكم اليوم من أمر الله) .

وبعد فعلى أى شىء يُحسدون ؟ أعلى مثل ما فعله الدكتاتور مطر من قتل وسحلٍ أم على ما أثار من فتن ؟ أعلى الفظائع والفجائع التى تتقرز منها الجلود وتتفطر القلوب ؟ أعلى تبذير خزينة الدولة وراء أهداف دنيئة ؟

أعلى تأزم الحالة الاقتصادية ؟ أعلى غلاء الاسعار والبطالة ؟ أعلى اتباع سياسة التجويع وفشل التزريع وانعدام التصنيع ؟ أعلى دق الوتد وشق الجدار وخرق سفينة البلاد واغراق أهلها . أم على امتداد خيط الشقاء ؟

لم يقدّروا غروراً أن عيشهم ظلٌ غمامة ومتعهم طيف منام وإلا لحفظوا مال الشعب وثمّروه وفى الاصلاح انفقوه ، ولكنهم إما حبسوه فكان كالماء ينصب فى موضع لا يخرج منه حتى يصل ويسيل ويذهب ضياعا واما افنوه فيما لا يعود على البلاد بنفع كالمظاهر والمناظر والرواء ، فيقال لهؤلاء الذين يدّعون انهم أمناء ومتضلعون فى السياسة (ما يفعل بالعطر شعب جائع ومريض ؟) ما كان عليهم لو انفقوه لانتاج برة سمراء فى تربة غبراء ، وفى مياه خرّارة فى أرض خوّارة ، وفى تصنيع محصّن عن التضييع ؟

واصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

وها اننا نجد مطراً لم يبق من مئآت الملايين التى صرفها فى الفساد شيئاً . وما الأمل ممن انبسط أمله وخسر منازل الأحرار ومركز الخرّاجين الولاّجين وكيف يرجى الخير ممن شره يتقى وأمرّ مرّه للأولياء ؟ وأحلى حلوه للأعداء المجرمين ؟ فمثل هذا الذى هو السم الناقع للبلاد هو السبب الذى جعل العرب لا يقدرون على ورود الماء بكرةً ولا عشية ، بل حتى بعد صدور الورّاد عن منهل العرب وشريعتهم ، وهكذا يكون سوء طالع الشعوب العربية بسبب من لم يشرب أفاويق الدهر من الرؤوس الذين هم ليسوا إلا أبناء يومهم ، هذا الى انهم يشارون ويمارون وللصداقة يفسدون ولعرى الرابطة يفككون وللعقدة الوثيقة يحلون والجسر القائم للوصال والإتصال يقطعون ويتسابيون مع أن سبابهم فسوق ولا يكترثون ، والعجب انهم مع كل هذا يقولون بجمع الكلمة وهم مفرقوها ، أما الذى بحق يريد جمعها فهو الذى لا يتمتم فى منطقه ، ولا يتردد فى تائه ، ولا يفأفىء فى فائه ، ولا يلحن لحن المنحرف ولا من يهدم الجرف ولا يخلط ولا يرت ومن هو بحيث يقال :

اذا نزلت احدى الدواهى بقومكم فانفسكم دون الاخوة فاجعلوا
وان طلبوا عوناً فلا تحرموهمو وما حملوكم فى الملمات فاحملوا

وقد جربته الأيام فكان حقيقاً بهذا الوصف ، وأين غيره من الرؤوس وهم يقطعون شمالهم بيمينهم ، ولم يسمعوا قول النبيّ الكريم : (ستحرصون على الإمارة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة) لا يسمعون هذا وإنما يسمعون : (الإمارة ولو على الحجارة) لأنهم من النمط الثالث .

وبيان ذلك : إن الرؤوس ثلاثة : فرع بائن من أصله ، وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل . فالبائن من أصله إخاء بنىّ على مودّة ثم عرض ما قطعه فليحافظ على زمام الصحبة ، وأما المتصل بفرعه فإخاء أصله الكرم وأغصانه التقوى . وأما الفرع الذى لا أصل له فالمموّه الظاهر الذى ليس له باطن . وقد قيل :

كم من أخ ظاهر ودّه ضمير مودته أجيف
فلا تغترر من ذوى خلّة بما موّهوا لك أو زخرفوا
اذا أنت عاتبته فى الإخاء تنكر منه الذى تعرف

فالإخاء الصافى جوهرة رقيقة ، وما لم تحرس تعرضت للزوال ، والإخاء الذى أصله الكرم وأغصانه التقوى مثله كما قيل :

مثل الحسام اذا انتضا ه ذو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما تسعى له كرماً وإن لم تستعنه

أما الذين مودتهم أجيف فتعلمك عنهم أفعالهم ، وتعرفهم بما يأكلون ويشربون ويلبسون ويسكنون ويقتنون ويجمعون وبحضورهم حفلات الرقص والمجون وبآرائهم يستبدون وبظواهرهم تستدل على بواطنهم وسرائرهم ومقاصدهم ومراميهم وأهدافهم وايمانهم وعقائدهم وعقد أنفسهم وتستدل على عيوبهم بكثرة تعايبهم ، لأنه اذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة انبعث منها ما يكشف عن البواطن .

أما الوليُّ الصالح فهو الذى يكون قوياً على نفسه موقى الشر ملقى الخير ولا يجهل ولا يبغى . ويرفع علم الحق ليتبعه أهله ، وجهده أن يكون أداة للوصال والاتصال وهمُّه جمع القلوب وتأليف الشارد وهو من يكون بعيداً عن القسوة ، ولم تطغه عزة الظفر ومن يجعل العواقب نصب عينيه ، بعكس أخرقهم الذى يركب الخطار ويعتسف العثار ويسرع فى البدار قبل الاقتدار ، فسائس كمطر لم يسس نفسه لا يسوس الناس ، ومن افرط فى الاعتداد بذاته غشيه المحاق ، ومن علامة واهن السياسة أن يتشبث بريف العراق وهو بشظف نجد ، ومن كانت القلوب عليه لم يغنه كون النار والحديد بيديه ، ومن أسرع بالفتك فى أكفائه خسر من يعدُّهم لأعدائه .

ومن يمن السائس أن يأتلف به المتنافرون ويتحد بسياسته المختلفون . ومن شؤم السائس أن يختلف به المؤتلفون ، ومن المؤسف ان هذا يجبر وذاك يكسر وهذا يبنى وذاك يهدم . ولا يخفى على الناس من يبنى ومن هو وقف للهدم :

فما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظاً وينوى من سفاهته كسرى

فهلاّ تذكّر هذا الذى يلذُّ له الكسر أنه قلّ طريقٌ تلقى فيه الحجارة إلا عاد وعراً على ملقيها ؟ أما ركوب الهوى المائل فغرور وجهل بعواقب الامور :

أهون بدنيا يصيب المخطؤن بها حظ المصيبين والمغرور مغرور
فازرع صواباً وخذ للأمر حيطته وان يذم لأهل الحزم تدبير
فإن ظفرت مصيباً أو هلكت به فأنت عند ذوى الألباب معذور
وإن ظفرت على جهل ففزت به قالوا جهول أعانته المقـــادير

وإن اردت أن تعرف جهولاً اعانته المقادير بصفته فاعرفه بأنه من كان يخبّل بشعرة وتهوّس فى المكان الضيّق ، وصار يصغى الى الطن على اذنه بالأوحد وصار يسارق الرجوم ، ويطيّن عين الشمس ، وقد ازدهاه المنصب لحد انه صار يأمر بوضع التماثيل والنصب له ولم يرَ فى سماعه بنات معبد (١)

(١) بنات معبد : معبد مغن اشتهر بالتاريخ في الغناء .

محقّراً ولا فى حضوره رقص الكواعب بأساً وقد اشغله الغرور عن التفكير فى دفع النوائب وتهوين المصائب وتسهيل المصاعب ، وكيف يرجى ذلك ممن هو شبق بهيفاء لينة العواطف بينما لو كان شريف النفس لكان بينه وبينها الجدر ، ومن صفات اخرقهم أنه من لم يتمهّل ، وللطيش عنده نصيب كبير وإن تنكّباً فعن عذر مردود ، يحيد عن الحق ، ويسطو ويرمى اخوته ولا يكترث بالقول : ولئن سطوت لأوهين عظمى ، واذا رميت أصابنى سهمى . لأنه ليس له سهم فى العروبة ولا فى الاسلام ، بل هو فى طليعة من يشفى غليل صدورهم أن تصرع العرب كما قيل :

إن الذين ترونهم اخوانكم يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

وقد أنعش حقده وأمات الرحمة فى قلبه ، يسىء القصد ، ويرى الدين رجعية ، ويتهرب من إلزام النصوص له ، لا يمرُّ به يوم إلا ويقصر عما قبله ، فأين هذا ممن :

ينال بالظن ما يعيا العيان له والشاهدان عليه العين والأثر

أين هذا ممن سلامة نيته تسدد أمره ، وقد اقعد بالشرف وارسخ فيه واثبت ، وله من اللطف ما يجعل للمتعلق به سبيلا وباباً للقبول مفتوحا ، وأمن بحزمه من أن تدركه عمياء مجهولة أو داهية بالضغائن محملة ، وانه من انطوى قلبه على مناصحة أمته فضلاً عن شعبه ، وهو من وراء كل غاية ، وان خطب فخطابه أعذب موضوعا وأملس متونا ، ينجز الحاجة ، وهو غير ساهٍ عن أن تحفر الجرذ تحت رجله . انه قصىّ مرامى النظر فسيح موامى[1] العبر على مرامى الخطر ، يتبصر قبل أن يرمى نفسه فى الخطر ، يقطف ثمار الغيب من صنوان النوم[2] ، يجبر الفقير فى توفيره له أبا جابر[3] ، قمع هوى نفسه ، وعلم ان الانسان ابن ساعة ، فخاطها من إضاعة ، ونزّه نفسه عن الطمع لعلمه

---

(١) موامى جمع موماة : المفازة والفلاة (٢) المراد به : الحقائق تتجلى له فى الاحلام
(٣) أبو جابر الرغيف .

انه لم تدرج افراخ ذل إلا من وكر طماعة ، ولم تبسق فروع ندم إلا من جرثومة إضاعـــة ، إنخذ لحمته الذين يلونه فى الصلاح وأصحابه من أهل الاخلاص ، حمى البلاد من أن تنشر عليها البيض ، وحفظ الجيوب من أن تشمس منها الصفر ، وحرس البلاد من أن تحلّ بها سود الحمر ، وبنى البيت لمن لا بيت . أما فتات الموائد فحظّ بلد جعله ولىّ أمره اقفر من القفر ، وافقر من الفقر ، واحل من المحل ، واهله يقلبون الأكف على ليت .

أما الأخلاق فالصالح المصلح من أولياء الامور هو من يلوى الرصد على من يلوى الطرب أعناقهم ، وعلى من يرقصون رقص الكلاب المطوقة بالودع ، فيشرقهم الولى الصالح بريقهم لأنهم من ذهب ماء وجوههم وأهدروا شرفهم ، وهل ينصب الرصد على من ذهب منهم الحياء غير العف الكريم ؟ أما الضليّل كمطر الدكتاتور فكان يميل به التصابى الى من لا حياء لهم ولا شرف وما ذلك إلا لعلاقة الخسة والرذيلة ، هذا الذى غمره الغرور لحدّ انه يحاول أن يبارى الأفلاك تعاليا ، هذا الذى ثبوت حقيقة سوء معناه محا حقيقة دعواه ، هذا الذى ظلمة ضميره أشد سواداً من الليل البهيم ، ولون نزعته أشد احمراراً من الدماء التى سفكها ، هذا هو الذى كان مبتلى بجنون العظمة وعتوّ الفخار ، ويدّعى جهلاً انه أبو عذر الرأى . ويدعى انه ابن الشعب وهو عاقه ، ويدعى انه رائده والواقع انه كان يرتاد له المرعى الوبىء الوبيل ، فلذلك ولأن الكيل قد طفح نجد أن نهايته قد انتهت بإحراق نار الشعب الملتهب اخضراره الزاهى فى دمنته ، وهذا جزاء فتكه لأنه ليس من ذوى الإيمان ليقيد الفتك ، ولقد كان أمن انحناء جهاز الفخ وبدوء عظامه ولم يدر أن انحناء الأحرار سيطوّق عنقه وعنق زمرته ، لقـــد فتح على نفسه أبوابا اعياه سدّها ، وألحّ فى الظلم (حتى تفجر من صمّ الحجارة ماء) فكانت النتيجة ان ذل بالادبار كما عزّ بالاقبال ، ولو كان كريماً لأعان فى الجلّى ولكفى عند موجبها ، ولكنه جاء بالعكس فنزع الى إلفه من الغرباء عن الدين والاخلاق

والمجتمع ، الى الفه أهل التخريب ، واتخذ اسوأهم بطانته (وكل غريب للغريب نسيب) ان جهاز هذا الظالم ضيّق على الناس الرحاب وأوصد فى وجوههم الأبواب وتعذر على من أراد الفرار أن يبدل أوطانا بأوطان واخوانا باخوان ، لأنهم لم يعطهم نوما مسكنا كيف لا وقد حصد الجهاز رؤوساً وبذر سوآت وأركض المفترس وأورى زند الفتن ، ومع أفعاله هذه وهو المستنقع كان يعرّض بمن هو بحر لا تكدره الدلآء .

كان مطر يكابر ، والحال ان من كابر فى الامور عطب ، ومن اقتحم اللجج غرق ، فكان بذلك تأخذه الحجة ولم يحسن المخرج ، وقد ضيّع الاموال واساء الأحوال وقطع طرق الاسفار واغلى الاسعار وأسعر النار وسبب البوار وداس الاخاء ، واعتدى وتكلم بغير تمييز وأعرض عن الكريمة وتهور فى الفتنة ، وكان يهرول نحو المنهيات ويتجنب المأمور به واستكبر أن يريض الآبى باللطف ، وكان يقاطع على غير ارتياب ولا يعنى بالمودة التى هى أقرب الأنساب ، بل الذى كان يعنيه قطع الاسباب ونصب الكيد للآل والأصحاب .

ومن البلية أن ترى مظلوما لا ينتصف بظالم لا ينتهى ، ولشدة غروره كان يستبعد أن سيفاً سيلاقى سيفه . فكذب الله ظنه اذ عمه وزمرته الهلاك كما عموا الناس بالاهلاك وقد غرر بهذا المرفوع الستر كثرة ارخاء الستور ، ولو عقل لما قرّب الجرذ التى ينفيها الناس عن بيوتهم ولما بعّد البزاة والنسور التى كم منهم من نتف ريشه ، وكان يغدر مع أن الغدر من شيم اللئام ، ولم يلتفت الى القول (ملكت فاسجح) بل سلط من هو وهم فى مسلاخ واحد على من ليس له ذنب ، وقد عقد مع جلاديه عقداً لم يحله إلا أحرار ١٤ رمضان وهكذا تكون عاقبة من اماله الباطل ، ولو وعى أن ليس بين الحق والباطل قرابة وادرك لما وقع فيما بسببه هلك . كان الغاوى الهاوى لم يدن بأن بيت المال يجب أن يكون اشد اطلاعا من الارملة واليتيم وذى العيلة ، بل الذى

انعقد فى نفسه ان بيت المال ملك صرف له وكانت فلتاته واصراره سواء ولا تمهّل ولا تسهّل ولا ترفق ولا توثق . ولفظيع ما فعل حقد عليه من لا ينام دون الشفاء . ويطلبه من لا يسهد دون الظفر به وبعصابته ، ولم ينفعه حذره . وكيف يحترس ممن هو بين اضلاعه ؟.

كان هذا الدجال يمنّ بمعروف مزعوم ، وعلى سبيل الفرض انه شوى فلم إذا انضج رمّد ؟ أجل انه شوى لأخيه الأمير الذى ثراؤه فات القياس ، اما وعوده فكانت تسويفا مع أن التسويف وعد اللئيم ، ووعد الحر فعلّ . وساعد الله شعباً حارسه محترس منه ، وحارسه ماحك قرحة إلا أدماها ، وما من فتنة إلّا هو مفتاحها ولا باب خير إلا هو مقفله ، وقارن بين هذا وبين الخراج الولاّج الذى حلب من الدهر اشطره[1] وشرب افاويقه[2] ، قارن بين الاثنين كم تجد فرقاً ؟ ان اللئيم مطراً لئن عزّ بمساعدة الليالى لقد ذل وزمرته فى العقبى :

نامت جدودهمو واسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود تنام

وذاق وزمرته فتنتهم ، وهذا جزاء من ذهب السمّ هى مختالاً وظن فى نفسه انه من لايأتى الزمان بمثله ، وصحيح انه من لايأتى الزمان بمثله فى القسوة وسقوط الشرف ، وتقريب القذرين أولئك الذين تقوّى بهم كما تتقوى الحمأة الفاسدة بمثلها ، والنفوس الدنيئة تعيش فيها النفوس المماثلة لها كالخنافس تألف الحيات والعقارب ، وبالنتيجة حصدوا بذورهم خزياً وعاراً وقرناؤه الذين قيّضهم القدر له كانوا كهو ، أهل المنكر ، وأعداء الفضيلة وأصحاب الرذيلة لا يدينون بدين ولا شريعة ، يكذبون ويخونون يرون الإنطلاق بالشهوات المحرمة ، يشجعون على الفاحشة واشاعتها ، هؤلاء كم ظلموا وجاروا وحلّوا قوى الشعب وفككوا روابطه فأصبح الشعب يخاف بعضه

---

(١) الشطر شطر الحلبة .

(٢) الأفاويق جمع فيقة وهو ما بين الحلبتين .

بعضا وتفرقوا فى السبل . إن مطراً وزمرته شعوبيون بلا شك وأعداء العرب والإسلام بلا ريب ، وكانوا أعداء التقارب والتآلف وإلا فان اخاك من يسعى معك ، وكان يصر على : (ان لا ائتلاف كما لا ائتلاف بين الضب[1] والنون .

كان يرى مطر اللبن الذى ارتضعه وارضع عصابته منه انه اللبن الذى لم يتغير طعمه ، بينما هو لبن الغيل (أم سقتك الغير من غير حبل) وها انه عاد عليهم غولاً غولهم ، وهذا جزاء من استخف بالشعب وهدردمه وحقوقه وخنق حريته وباعد بين قلوب أهل البلاد واعتدى للآمنين جهنمه وسفح بالناصية واحدث الفجوات ووسع الفرجات ووضع اللحم للبزاة وحرم الشعب من ماله ، وباين الناس بينونة عزلة وجعل ما بينه وبينهم كما بينه وبين جبال الأفاعى والآكام المسبعة . وكان نظره نظر المستعمر الطامع الذى يهمه أن لا يرى نارى اقليمين عربيين تتزائيان ، ولكنه دجلاً يهجر بأنه قضى على الاستعمار ، ولشعوبيته لم ير ان الاخوة اخوةٌ سواء فى النسب أو المشابهة أو المشاركة فى الرابطة ، وتستعار لكل مشارك فى القبيلة أو فى الدين أو فى معاملة أو فى المودة او فى العادات او فى اللغة او فى التاريخ ، واذا كان الأمر كذلك فهل غير انه اهل الاختيان الذى هو أشد من الخيانة ؟ إنما الذى يهمه أن تنتثر مجتمعات شعبه انتثار نظام قطع سلكه وتناثرت خرزه ، هذا فضلاً عن تقارب الأقاليم العربية بعضها من بعض ، إنما الذى يحاوله سود النظام الفوضوى ، ولولا أن يسبقه الزمان لسعى اليه بتنفيذ ما أعد من مخططات كان فيها ازهاق أرواح يقل عنها عدد الألوف التى أهدرها فى الموصل وكركوك وغيرهما . ان أول اسلوب وفن كان يقوم به اضعافه العقيدة بالدين والانطلاق بما هو تفسيخ للأخلاق ، وافساد الفطرة واماتة النخوة والقضاء على الشمم والاباء ، والإنحراف عن السنن ومعانقة الاباحية ، وكأنه موكل

---

(١) الضب : موطنه البر . والنون ـ الحوت ـ : موطنه البحر .

بذلك كله ، ولذلك كان يقول لجلاديه : (فجزها لها الادبار) و (اغلظ عليهم ، واضرب فوق الاعناق واضرب منهم كل بنان) كان هذا الفرعون يهدد الشعب بقوله : (كل مما يليك) فاذا قال : هل من أكلٍ لمن يطبخ على الماء؟ اجابته النار بفتح افواهها ، وبهذا جعل البلاد منقطعة عن خيرها وهو باسط يده على على اموالها ، واهلها كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وليس المشجع لهذا إلا ظنه وعصابته أنهم جوارح وأهل البلاد بغاث ، واذا كان الأمر كذلك فأنّى لأهل البلاد أن يبحثوا عن عللهم وأن يعالجوها ، وأنّى لهم أن يفتشوا عن دائهم ودوائهم ومن يخض فى شيء من ذلك تبتّك اذنه كما تبتّك آذان الانعام لأنه ممن يريد أن يغيّر خلق سياسة ظلمهم ، ولأن الشعب بزعمهم لم يبلغ الحلم ولم تتكامل قواه العقليـــة ولم يفرّق بين البصم[1] والعتب[2] والرتب[3] ، بينما هم الذين لا يفرقون بين الشبر والفتر وإلا لساسوا الناس سياسة العارف ولم يحقدوا قلوب الشعب عليهم ، وإلا اذا كان البلد نخلاً يشرب بعروقه فلم منعوا عروقه الامتصاص؟ أهو بلية ناقة تحبس عند قبر صاحبها ولا تسقى ولا تعلف حتى تموت كما هى عادة الجاهلية ؟ واذا كانوا من البقايا والرجالات فى الحمالات فما وجه فتور الطبع عن النزوع الى تحقيق صالح البلاد ، وما المانع عن النظر فى المحاسن العقلية وتحرّى وجوه الصواب ؟ وعدم الشعور بالمسؤولية الوجدانيـــة ؟ بخٍ بخٍ لحكام كمطر الدكتاتور ، وبهٍ بهٍ لعصابته المغرورين وبئست البطانة التى هى شرٌّ من أهل الوطانة ، وبئس دخلاء الأسرار التى تفضحها الأيام على أيدى الأحرار ، الذين على أيديهم يؤمل أن ترتق الفتوق ، وتلحم الصدوع وتوحد الصفوف ، ويرفع الكابوس ويصفّى الجو ، ولا رحم الله حكاماً أسكرهم خمر الغرور فصاروا ينقشون صوراً وهمية يضللون بها سذج الناس ، ولم ينقشوا صوراً

---

(١) البصم : ما بين الخنصر والبنصر . (٢) العتب : ما بين البنصر والوسطى .
(٣) الرتب : ما بين الوسطى والسبابة .

بثبوت ، وقد فوّتوا الحكم بالحد ، وسلكوا الطرق المعوجة وأدخلوا الشعب فى مختنقات وعرة ، وخدعوه بالرسوم الخيالية ، ولو سلكوا الجدد لأمنوا العثار ولما أمسوا كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ، وقد كانوا فرحوا بما اوتوا فأخذوا بغتة وقطع دابرهم ، وهذا بعض ما يستحق من دعا ارهابهم لأن يتخيل الناس الحبال أفاعى ، وكان لهم غنى بالعدل عن الجور وبالنصح عن الغش وبالصراحة عن المكر وبالصدق والاخلاص عن التندر والبراعة فى التحويل والتغيير والتبديل والتحريف والتضعيف .

إن السياسة الحكيمة فى تأليف الشارد وجذب النافر ، والحكمة فى البناء والترميم لا بالتخريب والتهديم ، ولا بتغيير الأشياء من صفة الى صفة ، ولا بجعل الاسود ابيض والابيض اسود ، ولا بتحريف الكلم ، ولا بقلب الألفاظ ولا بتنكيس المعانى ، فمن ذلك كانوا يرون الغريب طويل الذيل محترما ، وقد جعلوا المواطن غريباً وماله قوت ، واعتبروا المواطنين هم المستندين الى رواسيهم وان من قلبهم الحقائق جعل مطراً ميناً ، والحال انه الخائن المشعّب للشعب ، وانه وعصابته ليس من المتشابهات ليقال لا يعلم الناس تأويله فأمرهم واضح ، انهم من كان نظرهم (بقل شهرٍ وشوك دهر) وتنطق بهذا افعالهم ، وعدم إبائهم يدلّ على أنهم فرّوا عن آبائهم ، أما من يعرف أباه فهو من يحمى اجمته وليس هو الذى يدل عليها .

إن مطراً الذى كان يردد نغمة الثوب لم يكتف بالرشف دون السرط والكرع والجرع . ومن أين لأخيه الأمير ما جمع من مال وعدّد لا شك انه كان يتاجر بمال الشعب وبنفوذ أخيه ؟ وان للامور مميزاتٍ تميز الخائن من الأمين والمخلص من المتلصص وتميز من عَجَزَ الاجنبي أن يحصّ منه شعرة لأنه ليس بطائر يصاد وتميزه عمن هو تبع للفوضويين وانه المعطوف عليهم ومفعولاً معهم بواو المعية ، وأين واو الجمع والصرف من واو العطف ، وأين شعب هجّيراه يا حسرتنا من شعب فاز فوزاً عظيما برجاله وياما أبعد

النسبة بين الشعبين بسبب المباينة بين رأسى الجهازين ، أين المقطوع من الموصول ، وأين الثابت من المحذوف ، وأين النكرة من المعروف ، أين المتقى ممن يرعف ويقى ؟ هيهات أن يستوى من استدبر الماضى ، وقضى على الحال ، وهدّد الاستقبال ومن ماضيه إمضاء عزيمة ، ومطره ديمة ، ومستقبله وليمة .

فكما كان امتداد الحكم المباد هو امتداداً لطالح البلاد كان حكم الدكتاتور مطر أشد بلاءً وأعظم محنةً لأن الطاغية المعنّد جاء الحكم وكأن عليه نذراً لابد وان يفى به بهتك الشعب وتدميره ، هذا الظالم الذى هو دوماً كالجمل من جوفه يجتر ، ويزكى نفسه بنفسه ويُرى الناس انه الزاهد وانه لا يملك غير ثوبه ، بينما مجيئه الى الحكم هو الضربة القاصمة لظهر الشعب ، فقد بسط كفه وذراعيه وتصرف مدة حكمه بذهب خزينة الدولة وحرم الشعب من قوته ورزقه الى أن جاء اجله وعصابته الذين هم ليسوا من لدات الأتراب ، ولوكانوا روّحوا البلاد بالرياح اللواقح المبشرات لما عصفت بهم ريح الاعصار الذى فيه نار فقلع شجرتهم الخبيثة من جذورها .

فليعتبر بهم سوّاس الأقاليم المنحرفون عن الشعبية والوطنية ، وليعتبر اقطاب الفوضويين الذين يراؤن ويُلبسون ويسدلون الستور ويدجلون لروح متمردة تتردد فى مخارقهم ومنافذهم ، ولداء القسوة الذى قد يكون متحدراً من افق مخيلتهم الى حسّهم المشترك تجدهم يرون رؤيا ليست برؤية العين ولا رؤية القلب بل رؤيه الطبع الذى يدفعهم الى التلذذ بالسفك والسفح ، لأنهم أهل السفاح وأهل كل شىء مباح .

ومن المصيبة ان مطراً زادهم تشجيعاً عما كانوا عليه على العهد المباد وجعلهم وليجته وحاميته اذا ما ازمة ازمت ، وقد غرّهم ان مطرهم الدكتاتور هو الليث ، مع العلم انه الجاهل المغرور الذى لا يعرف الريث ولا ادراك الحيث ، ومنه نستنتج أن تفاعل الغرور بهم هو الذى طوح به من جهة

وسقطوا هم بسقوطه ، وهذه من عواقب الظلم . ونستخلص من سيرة مطر السوداء بالحمراء انه كان يرتكب خطأ الظن فاذن هو غير كيّس ، إذ قيل : انك لن تنتفع بعقل المرء ما لم تنتفع بظنه ، أو كان ضالاً (وضلّ من كانت العميان تهديه) وضل من لم يخرج من كلا النقيضين الذى جعله فى حكم غير المختار .

ومن المؤسف ان الشعب لم يكد يتخلص من جرّه بحبل الأجنبي الطامع على العهد الملكى وجهازه حتى وقع بالعهد الفوضوى عهد الدكتاتور مطر حتى ظهر أمر الله وكل من رجال الحكمين مرغم وكاره ، وما نفع المتطرفين فلسفتهما فلسفة المنجر بحبل المستعمر الذى يزعم ان فى واجهته جهة الشروق الذى هو يمين الفلك وانها مبدأ الحركة العظمى ، وان فى الجهة المضادة لجهته قلب الأذؤب ، وفى الفوضوية خنق للحرية وغصب للمنافع من يد أهلها وهدر للأرواح واقلاق للنفوس وانحراف عن الفطرة الانسانية ، وما نفع الجهاز الفوضوى فلسفته بأن فى فوضويته الحمراء بياض السلام ، ورفاه العامل والفلاح ، لأن المصلحة لا تأتى من طريق المفسدة . أما الصنف الثالث فيريد اشتراكيته أن تكون منطبقة ومتفقة مع تعاليم الدين الاسلامى فلا افراط ولا تفريط ، ولا ارجاء ولا اجحاف ولا غلو ولا اخلال بحق الفقير ولا اجحاف بحق الغنى وانه مع الاعتدال ، ويقول لأهل المبدئين ملعون من انتسب الى غير مواليه وصار الى أعاديه ، أليس أبوكم الاسلام ؟ ومن الفقه : الولد يلحق بأبيه ، وأمكم ارضكم ودياركم والى أمّه يلهف اللهفان ، أليس الاسلام قد جمع الى العربى غير العربى بجامع وحدة الشعور واخرج الشعوبى من الرابطة لأنه عدوّ للعرب كعداوته للاسلام . ألم يقل رسول المسلمين : (من أحب العرب فبحبّى أحبّهم ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم) ؟

وبعد النزعتين ماذا ؟ هذا من الحزب الفلانى وذاك من الحزب الفلانى ، وبعد الحزبية ماذا ؟ هذا من الطائفة الفلانية وذاك من الطائفة الفلانية .

وبعد الطائفة ماذا ؟ هذا عربيٌ ، وهذا تركماني ، وهذا كردي ، وقد تكثرت الغايات بتكثر النزعات والمذاهب والطائفيات ، والعناصر واللغات . والحال ما وراء تلك الغايات إلا التدمير والحرمان ، فان الخلاف متى خرج عن موضوع الشورى التي تقلّب فيها وجوه الرأي ليظهر الصواب ، فليس الخلاف سبباً للائتلاف ، ونأمل من الحكم المنقذ أن يقضي على أية فرقة .

وبعد فمتى يأتي عام الجماعة ؟

متى ينفلق الصبح ؟ متى تنتهي دورة الفلك ؟ متى ينسلخ دور التفرّق ؟ متى يحلّ عيد الوئام وعيد السلام على العرب والإسلام ؟ متى تعود لياليا البيض ؟ متى يتبدل الظرف الذي يرنو اليه الطرف ؟ متى يتصرف ظرفنا الجامد ؟ متى تكون يدنا هي الآلة لقدرتنا ؟ متى يكون يومنا يوماً أيوّم ؟ متى يجيء اليوم الذي نزاول فيه امكانياتنا وحصولنا على منافعنا بقدرة صنائعنا ؟ أما آن لنا أن نتنطّس ونشدّ وسطنا الى متى نستنصح الشعوبي المتقمص ثوب الرياء المزدوج الشخصية والذي يلبس لكل ظرف لبوساً ويخرج في كل فصل من الانتهازيات بطلاً ؟

إن من العار أن يتغير المسلم العربي من الرفع والنصب الى الجر ، إن كلمة المسلمين والعرب مبنية ، والمبنى ما لا يتغير آخره بتغير التراكيب ، فكيف تداعى ذلك البناء ولم ذهب ريحهم وانقضّ كوكبهم ، وانجزم حبلهم ؟

إن الذين لا يتحرك شعورهم نحو اخوتهم ولو انضب الأجنبي ماءهم ، وضيق رحابهم وهدم محرابهم وانتهك حماهم ان هؤلاء ليسوا باخوة بل هؤلاء نكرات وأعداء ، والمسلمون والعرب معارف ، والمعرفة لا تكون صفة لنكرة ولا تدخل تحتها لوجود التضاد بينهما أما المعارف فهم مضمرات من شرفت أنفسهم من سواس الشعوب العربية . وان رآهم بعض العميان نكرات :

أحوالهم نكرات عند عاذلهم والمضمرات معارف الإخوان

وأين من انسلخ من الآيات ومن لا يقول للأجنبي لا حتى فى تشهده أين هذا ممن يقول للأجنبي لا أعبد ما تعبدون .

إن من كان من الأجنبي امّعة فمثله معه كصاحب البيت المنتقل الى موضع آخر لا يتبعه من مستانس الحيوان إلا الكلب . ومهما تظاهر الامّعة بالاخلاص فهو من باب (اعط خفختك سؤلها) ، ومن علامات من انتسب الى غير مواليه انه دأباً يعمل على إلغاء ما بين العرب والاسلام من الروابط ، وعلى تفريق الصفوف والعزل بالمفارقات وعلى ألاّ يجمع أمر مع أمر وعلى احداث التضاد بعناد ، وتوسيع الفرجات والفجوات وعلى هذا المنوال ما تحدثه سياسة الاستئثار بالحكم الفردى . والحال أن الموصول لا يتم إلا بصلة وعائد ولا تكون الصلة لأجنبي ، ولا العائد ضميراً شرقياً غريباً ولا غربياً طامعاً لأن الاجنبي غربيا أو شرقيا هو الذى جعل خيول العرب أراسيل بعدما كانت على عهد الجـــدود هى المجلى فى السباق ، وأين اللطيم اليوم والسكّيت من المجلى بالأمس ، وأين مفهوم الموافقة من مفهوم المخالفة ؟ وهل ثبّت قدم اسرائيل إلا ضعف الرابطة بل انمحاقها .

إن حروف الجر لا تعمل إلا بغيرها ، تلك الحروف من الرائسين الذين لا يعملون إلا بغيرهم هم الذين خالط مزاجهم المرة الصفراء والسوداء والبلغم ، فهؤلاء لا يهمهم أوضع الظاهر موضع المضمر أو العكس ويتندرون بجعل اخلاص المخلص غشاً وغشهم اخلاصاً ، وهؤلاء لا شك مرضى بتمرّد النفس وبكدورة الروح والانقعار عن المغرس الطيب .

فسحقاً لمن لا يعبأ بتأفّف شعبه ومن لا يغار على أمته سواء كان من مشايعى الحكم السابق أو الأسبق ، وكم كانت الخواطر تهيم على من كان يتصدى للفساد فتقول لهم ألا بعداً لمنضبي ماء البلاد المعين ومبذرى كنزها الدفين ، ومع ذلك يعدون أنفسهم من أهل السداد وأوليات الأمجاد ، ويقول المتأفّفون لهم لم كل هذا الحرص والجمع ؟ أمتاعاً الى حين ؟ أم لأجر

غير ممنون يا أصحاب الجنون والمجون ؟ أم لجزاء غير مبخوس ولا منقوص يا أيها اللصوص ؟ وتدّعون أنكم من الخواتم الفصوص ؟

إن الجنة التى كنتم تتمتعون بها رغدا وأنتم فى بحبوحتها فى سدر مخضود وطلح منضود وماء مسكوب هاهو قد عاد عليكم شوكا ولا تستطيون له لوكا ، وحق على من ربّك البلاد ربكا وحبك الأمور فى طالحها حبكا أن يضيق به الرحاب ويخمد عن ردّ الجواب . وهكذا تكون عاقبته من جانب الصواب وجعل البلاد فى أمر مريج وغليان وضجيج وجعل الناس مشفقين مما هم فيه وحث التراب على رؤوسهم فوق مسغبتهم ومتربتهم .

وإلاّ أمن العدل والإنصاف أن يبيت هذا على الطوى محسورا معسورا وذاك يربح الأرباح المفرطة موفورا ميسورا ؟ هذا نحفّه القوى أينما حلّ وارتحل وهو لا يساوى قشطة بصل ؟ وهذا لا يفارقه الخوف والوجل وقد عضّه الفقر بنابه وأنزل عليه الظلم ألوان عذابه وان حرّك شفتيه الصقوا به ألقابا واخلتقوا لجرّه أسبابا وسجلوه فى سجين وانزلوه اليحموم وألفحوه نار السموم .

ومع هذا يدّعى كلّ من الحكام انه المهدىّ المنتظر ومؤمّن البلاد من حوادث الغير ، والجابر لمن انكسر ، والمقيل لمن عثر وانه ليس من حب الاثرة كمن غبر ، ولا من حب العظمة كمن اندثر ، بل انه جاء مجدّدا ورافعا مستوى البلاد ومسدّدا ، بينما قد جاء مبددا ، وانه من الطمع أبوه وفى الجمع أخوه ورد البلاد الى اسوء مرد ولم يجر على خاطره (فساء صباح المنذرين) ولم يدر فى خلده (ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) .

إن أهل الحكم الاسبق والسابق كل منهما اجهل من عقرب تضرب الصخرة فتضر بإبرتها ، أما النار والحديد والطم والرم وما صمت وما صأى مما أعدّوه لمن لا ذنب لهم فقد انقلب ذلك عليهم وعلى اشياعهم ، والحفر التى حفروها للآمنين كانت قبوراً لهم ، وإذا جاء أجل البعير حام حول البير

فوقع فيه ، ولو حفظوا ما والّوا وتركوا ما كفوا ولاينوا الشعب ، لم يكن عليهم كعصف الريح الشديدة التي تقصف ما لا يلاينها . ومن سوء حظ الأمة العربية أن جهازاً يحسّ وآخرون يرثون ، وجهاز يبني وآخر يقلع البناء ويشق الصفوف ويحالف الفرقة ، ولم يحفظوا الذمة في الأخوة ، ولم يسمعوا القول (تحفظ أخاك إلا من نفسه) بل الذي يؤمنون به (فرقة تسر خير من اجتماع يضر) ويعنون بالضرر الضرر باستقلالهم الشخصي ، ولو كانوا من الأمجاد لكانوا بصدد الشعب وصالحه ، ولا خير في ارب ألقى البلاد في لهب ، وكيف تطمئن نفس شريف وهو يرى الشعب يحرق الارم ؟ وكيف تنسجم الحانية والمختضبة ؟ ان هؤلاء السواس لو لم تمتْ النخوة في أنفسهم وتدنس ضمائرهم وتعمى عاطفتهم لما هان عليهم اعجاف حلوبة البلاد ولما منعوا أولادها من الرضاع وتركوا الحلوبة تمثل ، وفوق هذا يطلبون على ذلك جزاء الحمد والشكر كما كان الدكتانور مطر يتبجح في كل خطاب له بمنجزاته الوهمية والقلوب مملوءة منه قيحاً ، قارن يا قارىء بين من حديث نفسه (دنياك ما أنت فيه) وكن رأساً ولو رأس خنزير ، قارن بين هذا بمن أكبر همّه أن تجرى خيل البلاد على مساويها ، وأن يحوص دواء الشق ، ونظره قبل كل شيء الى شعبه وأمته واخوانه ، لأن من لم يكن له عضدٌ من اخوانه ذليل في سلطانه .

إن الذي اعماه النظر الى نفسه كمطر صاحب الفجائع والفظائع فمغرفته احرقت يده وعصابته ، ولو نظر الى أن الحكم سحابة صيف ، ومن عاند الدهر عثر لما كان اذا استوى كان سكيناً وان اعوج كان منجلاً ، وكم ممن جعل الشعب سندانا يضرب عليه انقلب عليه مطرقة ؟ لكن مثل مطر ظنّ انه الشجاع والشجاع موقّ ، وقد أعد ذئاباً مفترسة ونظره السخيف :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ... وتتقي مربض المستشفر الحامي

ولكنه وعصابته صادهم القدر وأخلفهم ما نظروا وقدروا والله بالمرصاد

ومما لا شك فيه ان الدكتاتور مطراً وعصابته كانوا من العقيدة على عقيدة :

ما جاءنا أحد يخبّر انه لمّا مضى فى جنة أو نار

ولإلحادهم كانت القسوة تهوّن عليهم ازهاق الأرواح ، والذى كان همّهم (شرعك ما بلغك المحل) ويثبت لك القدم ، ويصيحون والحال (ليس بصياح الغراب يجىء المطر) ومضوا على الغرور (والشعب يصيد والحاكم يأكل السمكة) الى أن صيدوا وأين هم مما كانوا يهدّدون الشعب به فى قولهم (احذر أن يضرب لسانك عنقك) فقد مكن الله الشعب منهم ، وقد بدل الظرف الذى كان اضيق من ظل الرمح بالإتساع وتبدل ظرف الطى بظرف النشر ، والطير بالطير يصاد ، ولن يضيع حق وراءه طالب ، والظفر بالضعيف هزيمة لو أدرك مطر ، وسياسة الأزيز والصليل لها أجل تنتهى منه ، وبقاء الشعب

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

لهذا غاية (وهل يستقيم الظل والعود أعوج) ؟

ومن الرزايا إعداد الخائنين للمخلصين كلاباً نباحة واستعووا كلابا اخرى ، فهؤلاء لو عقلوا لما فعلوا لأن المغالطات والشتائم والقذف ليس بعلاج لقضيتهم لأن الوعى والتحسس بالحقوق ليس مما يوقف حدّه التجسّس وخير لهم من هذا قول الحق ، والعاقل العادل من يعقل لسانه إلا فى أربعة حق يوضمه ، وباطل يدحضه ونعمة يشكرها وحكمة يظهرها ، ولا نصيب للتمويه والسفسطة والقضايا الخطابية والمعاريض من هذه الأربعة شىء .

كان مطر الدكتاتور ممن غرّه أول الغزو وهو مجيئه للحكم أول ١٤ تموز بينما اول الغزو اخرق ، وإنما عند الغاية يعرف السبق . وساعة الحمل لعبٌ وإنما الجد فى الولادة . واذا كان المنحدر سهلاً فالمرتقى صعب :

دخولك من باب الهوى إن اردته يسير ولكن الخروج عسير

وغضبُ الظالم على شعبٍ يعرف حقوقه كغضب الخيل على اللجم . وسياسة ان لم تغلب فاخلب سياسة فاشلة ، ولهج الظالم بالشعب يناقضه حفر الحفر له

يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد إلا ما توارى البنادق

وإلا ما تضم الزنزانات وإلا ما اجاع واظمأ وعرّى وإلا ما بذر وأسرف وبدّد فى السفاسف والرواء والمظاهر والمستهترات .

ولئن كان الفائت لايستدرك فالايام فرائس ، وواو الحسرة لايرد ما مضى (كما لا يرد فى الضرع حالبه) ولكن فات هذا المعجب التيّاه الذى لغروره كان يهدد بقوله : (من يلق أبطال الرجال يكلم) فاته ان يعلم (ان مالاً تجلبه الرياح تأخذه الزوابع ، وان منصباً يناصب به الشعب يجتاحه :

ومن يك ذا عود صليب رجا به ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

(وان الله ليملى للظالم فإذا اخذه لم يفلته) كان المتألم بظلم مطر ليس فى وسعه اكثر من توجّعه وقوله (يا مآ لو بغيرك غصصت ، ويا حاكم لو لم يكن دونك النجم ، ودونك السجن والنار والحديد ، اما الأحرار فنظرهم من كان نعجة اكله الذئب ، لذلك الغوا القول تجاه مطر (إذا لزّ بك الشر فاقعد) ولم يسمعوا المثبّطات التى يقولها لسان مطر وعصابته (اتقوا الحراب وان رأيتموه مغمداً) وويل للرأس من اللسان ، لم يسمعوا هذا لأن منهج حياتهم (ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم) اما الظالم المتمادى فى ظلمه ، فلا يتذكر ولا يخشى . بل يجاوب المتظلم الذى يقول له (اين يضع المخنوق يده) ؟ يجاوبه بقوله (انت اهون من قُعَيْس[1] على عمته ، وان قال له المتظلم :

يا سائق البكرات إستبق فضلتها على الرويد فظهر البكر معقور

أجابه (ويل لرأسك من لسانك) فيختم المتظلم تظلمه (وقلبه وقد قرّحه شدة الظالم) بقوله :

ان كنت تعلم يا نعمان ان يدى قصيرة عنك فالأيام تنقلب

وان فى اليوم آخره ، وآخره ان الظلم اذا دام دمّر فدمّر الدكتاتور مطر والحمد لله .

---

(١) قعيس رجل من الكوفة زار عمته في الشتاء وكان بيتها ضيقاً والليل قارساً فأدخلته الكلب الى البيت وتركت الرجل خارجاً فمات من البرد .

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع
أ	بين ١٤ تموز و ١٤ رمضان
٣	الاسلام الرابطة العليا والعرب بيت
٩	الغرور بالبدايات
١٠	لا يسوس الناس من هو كالدكتاتور مطر
١٢	حاجة العرب اليوم
١٤	البلاد العربية بعد الحكم التركى وبعد الاحتلال
١٤	ابتلاء البلاد العربية ببعض حكام أقاليمها
١٥	نفاق سياسة بعض حكام الاقاليم العربية
١٦	الجهاز الحكومى لبلد عربى اليوم اثنان
٣٩	احجار الأرض هل يعتبرون ؟
٤٢	الأضمن لتحقيق الصالح العام هو اشتراكية الإسلام
٤٣	وبعد اليمينية واليسارية ماذا ؟
٤٤	تلاحى الخصومة بين حكام الاقاليم
٤٦	من جهل مطر ونفاق اشباهه
٤٨	كان سكوت مطر بلاغة لو عقل
٤٧	غرور مطر ابعده عن العرب
٤٩	الفوضويون وما احدثوا
٥٠	الاستفساد لا يفعله إلا فاسد المزاج
٥٢	أهل النار الحمراء عبّاد شيطانهم
٥٣	فى ١٤ تموز كان الورود ولكن المشكل فى الصدور

الصفحة	الموضوع
٥٦	مطر وتشبثه بطبيعة الثورة
٥٧	حال الشعوب الممتحنة حال من يخاف عليه الغرق
٥٨	الدنيا مياسرة
٥٩	لا رشد بدون شورى
٥٩	لو علم ان الشمس التى طلعت عليه ستطلع على قبره
٦١	كان مطر يتمنّن بالعفو عمن ضربه فى الشارع
٦٤	كان مطر الدكتاتور كذاباً
٦٤	كثرة ما كان يخطب مطر
٦٥	لقد ركب مطر ما لا يركب
٦٦	تبذير مطر خزينة الشعب
٦٧	لو كان مطر موهوباً لكان النظام
٦٨	من ربحوا فى سوق مطر
٦٨	الدكتاتور مطر له شبه فى الخفاش
٧٠	تملّك العجب مطراً حتى كان كالطاووس
٧٠	كان مطر من غرّ به الغرور
٧١	لقد طوّح بمطر خياله
٧١	من خبث تراب معدنه لا ينتفع بحكمة
٧٣	من لا يستحى يفعل ما يشاء
٧٦	حبّ ولىّ الأمر الفخر من اسخف الحالات
٧٨	السياسة فى مذهبهم
٨٠	جواسيس مطر على الشعب
٨١	الذّ شىء عند الدكتاتور مطر

الصفحة	الموضوع
٨٢	اذا قلت لمطر وجهازه الظالم قالوا لك
٨٢	عجب مطر وتيهه
٨٣	مطر لم يفكر فى امساك قوته
٨٥	هو من الغوغاء
٨٦	مصيبة الناس بالركع السجود للدكتاتور مطر
٨٦	وسماه المنافقون بالأوحد
٨٨	من يصدر عنه فعل يصدر عنه ما يشابهه
٩٠	لو سألت الاحرار عن دور مطر
٩١	المنافسة بين السوّاس
٩٣	تبرير الأوحد أعماله
٩٤	اختلاف رؤوس العرب
٩٤	المختلفون عن العرب أهل وهم وخيال
٩٥	ابتلاء الامة بالاقليميات
٩٦	الحزبيات والنزعات
٩٦	احمل كلام أخيك على أحسن محمل
٩٧	أرض الأمة العربية كلها وطن لكل عربى
٩٧	كان مدّاحو مطر من يهمهم للشعير
١٠٣	تضييع رؤوس العرب أوّل الأمر
١١٧	متى يبتدأ عام الجماعة
١٢٦	الخطأ والصواب

جـــدول الخطـأ والصـــواب

صفحة	سطر	الخطـــأ	الصـــــواب
٣	١٦	والتحربات	والتحزبات
٧	١٧	على رؤسهم	اِلاّ على رؤسهم
١١	١	وادا	واذا
١٦	٧	وامل الامل	وأمل الامة
٢٢	١٩	استثتهم	استثنتهم
٢٣	٥	يدّعون	يَدْعون
٢٤	٢	عمر	غمر
٢٦	٢٠	ورناً	وزناً
٣٠	٢٣	آلاف	الأفّ
٣٦	٢١	ضأى	صأى
٤٢	١٩	ويأنى	ويأتى
٤٣	١	مكم والولد أيلحق	أمكم والولد يلحق
٤٦	١٩	والخمور	والخُمور
٤٨	٢٢	بتكبير	بتكثير
٥٣	٨	نحقق	تحقق
٥٦	١	وتد	وقد
٥٩	١٢	يستبعد	يستبد
٦١	٥	وتبرز	وتبرّر
٦١	١٥	للاعتداء	للاعتداد
٦١	٢٠	وزن من الزبير	وزن الزبير
٦٧	١٨	عير	غير
٦٩	٢٤	ورفع المستر	ورفع الستر
٧٢	١٦	ان بمن	أن تعمل بمن
٧٢	١٦	انى ، للحكمة	انى للحكمة ان تعمل
٧٣	٢٣	ومثله	ومثله مثل
٧٩	١	بخس	بنحس
٨٩	٢٤	ويعرف وكيف	ويعرف كيف
٩١	٩١	هذا الجواب	هذا كان الجواب
٩٣	١	التاريخ	فى التاريخ
٩٣	١٣	فى نفسهم	فى أنفسهم
١٠١	١٠	تغيّر مزاجه	تغيّر فى مزاجه
١٠٤	٧	يتفاصخون	يتفاضحون
١٠٥	٢٢	انهم	أنهم
١٠٨	١٩	الحرذ	الجرذ
١٠٩	٢	ابخذ	اتخذ
١١٢	٦	سقتك الغير	سقتك الغيل
١١٢	٨	وسفح	وسفع
١١٢	١١	بهمه	يهمّه

Property of
Princeton University
Library

الثمن ١٥٠ فلساً

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

(NEC)
DS79
.66
.Q23
A55,
1963